روايات عبير



آن ميثر

أتيت من بعيد

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 120

أتيت من بعيد

كثيراً ما نخبيء في الذاكرة والخيال صورة معينة لشخص معين. ويروح الحنين يغذي تلك الصورة حتى يصبح الشخص رمزاً من رموز حياتنا وبطلا من أبطال توقنا... وهكذا ماريا التي تزوج والدها من أرملة، ابنها طبيب يعيش في لندن ويدعى آدم. كانت ماريا تراه في زيارته الى قريتها الايرلندية وهي صغيرة، طفلة. فتحفظ في قلبها صورته. الا انها حين قررت النزول ضيفة عليه في لندن للدراسة وجدته متورطاً مع ممثلة بارعة الجمال، ذائعة الصيت، بالغة التعلق به... ولا يبدو ان آدم يعيرها أي انتباه. الا ان ديفيد هالام ولاري هادلي يعرضان خدماتهما والحياة في المدينة شديدة الجاذبية كذلك... فهل تبقى وتنتظر؟ أم تفقد صبرها وتعود الى ايرلندا؟

لبنان	٨ ل.ل.	الكويت	٧٥٠ ف	اليمن	٩ ر	السودان	٨٠٠م
سورية	٨ ل.س	الامارات	١٠ د	تونس	١ د	U.K.	£1
الأردن	٦٠٠ ف	البحرين	١ د	ليبيا	٧٠٠ د	France	F 10
العراق	٥٠٠ ف	قطر	١٠ ر	المغرب	٨ د	Greece	Drs 150
السعودية	٩ ر	عمان	١ ر	مصر	٨٠٠م	Cyprus	P 1

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية
LIVING WITH ADAM

المراسلات:
Harlequin (Cyprus) Ltd.
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd. Bungay, Suffolk

١ - من جاء بك؟

وقف الطبيب آدم ماسيه سيارته اما منزل لورين غريفيتس اللندني الرائع الذي يقع في حيّ شيلسي السكني. رفع عينيه بتأمل نحو المنزل متسائلا كيف ستتقبل لورين الخبر الذي سيبلغها اياه؟ بصورة سيئة، من دون شك! في كل حال هذا الخبر سيمر له ولها في آن واحد.

اقفل آدم محرّك السيارة وخرج منها على مضض، كأنه بذلك يريد تأخير حلول المهمة التي من اجلها جاء الى هنا. ثم، هزّ كتفيه واقفل سيارته وصعد السلالم المؤدية الى المنزل بسرعة بالغة. اخرج من جيب سترته حزمة مفاتيح وفتح الباب ودخل البهو. فالتقى بأليس، خادمة لورين التي تعمل لديها منذ سنوات عديدة.

قالت اليس مبتسمة:

ـ هذا انت، يا دكتور؟ اعتقدت انك واحد من هؤلاء الصحفيين الوقحين!

قطّب آدم حاجبيه والقى نظرة الى ساعة يده وصرخ قائلا:

ـ يا للشيطان! نسيت المؤتمر الصحفي كلياً. موعده بعد ظهر اليوم، اليس كذلك؟ يعني الآن بالذات. هل ما يزال ماترينغ وادواردز هنا؟

ـ السيد ماترينغ ذهب لتوه، لكن ما زال السيد ادواردز هنا. بات المؤتمر الصحفي في نهايته. وستفرح الآنسة غريفيتس ان تضع الجميع خارجاً اذا علمت انك هنا!

ـ أليس، انت تمدحينني. غير اني افضل الاّ اقاطعها عن عملها...

ـ حبيبي!

رفع آدم والممرضة رأسيهما. كانت لورين غريفيتس، بشعرها الناعم الاشقر، تبدو جميلة على نحو كبير. كانت ترتدي فستاناً زهرياً ضيقاً يظهر مفاتنها الرشيقة وكانت تنظر اليهما من اعلى السلالم، ثم نزلت بخفتها واناقتها الطبيعيتين ورددت تقول وهي تمسك آدم بامتلاك مألوف:

ـ حبيبي! اني اكره المؤتمرات الصحفية وانت تعرف ذلك تماماً، لكن ليس عندي خيار.

اجابها آدم بهدوء:

ـ بالعكس، انت تحبينها. ماذا جرى؟ اين المعجبين؟

ـ تقصد الصحفيين، على ما اظن، اذا وثقت بنظرتك الساحرة؟ انهم يحتسون الشراب برفقة تيري.

وتيري ادواردز هو مدير اعمال لورين. لم يكن آدم يحبه او يستلطفه. في كل حال، هذه العداوة المشتركة بين الرجلين لم تكن سراً.

اجابها آدم باختصار:

ـ آه، فهمت الآن. نسيت كلياً هذا المؤتمر الصحفي. وقلت هذا الكلام لتوي لأليس. لكن، ما دام اشرف على نهايته...

اعلنت لورين قائلة:

ـ انتهى المؤتمر الصحفي. الم يكن عليك ان تذهب اليوم الى مستوصف عيادة الاطفال او شيء من هذا النوع؟

استغلت أليس هذه الفرصة وقالت:

ـ هل تريدين ان اجلب المشروبات المنعشة الى الصالون الصغير، يا آنسة؟

قال آدم في الحال:

ـ شاي من فضلك. فقط لا غير.

وافقت أليس بابتسامة صغيرة واختفت متوجهة الى المطبخ.

تنفست لورين الصعداء وقالت:

ـ بامكانك ان تطلب رأيي قبل ان تعطها الاوامر.

قال وهو يبتسم:

ـ لماذا كل هذه المشاكل؟ تعالي، عليّ ان احدثك في أمر هام.

اجابت بجفاف وهي تتبعه الى الصالون الصغير:

ـ تريد ان تحدثني، فقط؟ انك تخيب ظني.

كان آدم يكره سرّياً هذه الغرفة الفاخرة. جدرانها المغلفة بالسجاد، وارضها يفترشها بساط رقيق، تحتوي على عدد كبير من المقاعد والكراسي التي تعود الى القرنين الخامس والسادس عشر. ومع ذلك فهي الغرفة الاقل احتواء للمفروشات بين سواها من الغرف التابعة للمنزل.

وما ان اغلقت لورين باب الصالون وراءهما، حتى فتحت فمها واقتربت من آدم. فطبع على خدها قبلة ثم دفعها عنه بلطف وحزم، فهتفت تقول وفي صوتها احتجاج:

ـ آدم! ألم تأتِ الى هنا كي تراني؟

شرح لها بعد ان رفع عن جبينه خصلة شعره المشعث قائلا:
ـ طبعاً، يا لورين. لكن هناك مشكلة تعترضني.
ـ مشكلة؟
ـ نعم. اني آسف حقاً ومزاجي غير مستعد لقبول المزاح.
قالت بغضب ساخط:
ـ في كل حال، انك تزيدها! تأتي لزيارتي من دون موعد وحين احاول ان اعبّر لك عن محبتي، تدفعني بعيداً. هذا شيء لا يمكنني ان احمله.
ـ ولماذا تتحملينه اذن؟
رمقته لورين بنظرة متلهفة وقالت:
ـ آدم، يا آدم، لندع جانباً عراكنا. اني اغار... منك... من عملك... انت تعرف ذلك تماماً.
ـ حسنا، يا لورين. لنكف عن العراك. انا متضايق، ولا اعرف من اين ابدأ.
جلست لورين على المقعد واشارت الى آدم ان يجلس قربها. لكن آدم فضّل ان يجوب الغرفة ذهاباً واياباً، الى ان جاءت الخادمة حاملة صينية الشاي وقطع الحلوى. ابتسمت له المرأة بتفهم قبل ان تغادر الغرفة. امسكت لورين ابريق الشاي وراحت تسكب الشاي في فناجين من العاج. ثم سألته:
ـ لماذا تشعر النساء بحاجة لحمايتك؟ أليس تعاملك كأنك ابنها. اني اكره احتساء الشاي وهي تعرف ذلك تماماً، ومع ذلك، لأنك هنا، فهي تصرّ على ان اشاركك.
اجابها الطبيب بصوت ساخر:
ـ لا تكوني فظة!
سألته وهي تضع قطعة حامض في فنجانه:
ـ ما هو اذن سبب مجيئك؟ والمستوصف؟
ـ الدكتور هالدلي يحل مكاني.

ـ لكن لماذا؟ اننا نتناول العشاء معاً بعد المسرح، هل نسيت؟
ـ الاّ اذا طلبت في حالة الطوارىء. لكني افضل ان اعلمك بالخبر الآن. بعد المسرح تكونين متعبة كعادتك.
ـ الذي يسمعك، يعتقد اني امرأة شرسة! فانا لا اتعب ابداً عندما اكون معك.
ـ لننسى اذن ما قلته الآن، اريد ان احدثك على انفراد.
ـ ماذا هناك؟
وضع فنجانه على الطاولة وبدأ يقول:
ـ حسناً. وصلتني رسالة من والدتي تطلب مني الاهتمام بماريا مدة ستة أشهر.
ران صمت طويل. ثم سألت لورين باستغراب:
ـ ومن تكون ماريا؟
ـ ابنة زوج والدتي، اخبرتك عنها مرّة.
رددت لورين بصوت متوتر:
ـ ابنة زوج والدتك!
نهض آدم وتناول سيكارة. فقالت لورين في الحال:
ـ ربما انا امرأة ساذجة، يا آدم، لكن لماذا عليك ان تهتم بها مدة ستة أشهر؟ انها فتاة راشدة، اليس كذلك؟
ـ لما شاهدتها المرّة الاخيرة، اي منذ خمس سنوات، كانت تبلغ حينذاك الثالثة عشر من عمرها.
حاولت لورين كبت غضبها وقالت:
ـ لكن، اليست ساكنة في ايرلندا مع والدتك ووالدها؟
ـ تريد متابعة دروس السكريتاريا في لندن.
ـ دروس السكريتاريا؟ بامكانها ان تدرس السكريتاريا في دابلن!
ـ انا متفق تماماً معك!
فجأة قالت بفارغ صبر:
ـ انها تفاهة من قبل والدتك ان تكبلك بمسؤلية من هذا النوع!

هل حدثتها عني؟

ـ هل حدثت والدتي عنك؟ بالطبع!

ـ آه، اني افهم الآن!

ـ تفهمين ماذا؟

ـ والدتك ترسل ماريا كي تتجسس علينا.

اجابها آدم وهو يدفع خصلة شعره المتسا قطة على جبينه بسرعة:

ـ لا تكوني تافهة يا لورين. لم اعد طفلا، عمري يفوق الثلاثين.

ـ اعرف ذلك، ياحبيبي. لكن، الى حين تزوجت والدتك مرّة ثانية، كنت ما تزال بالنسبة اليها، ابنها الصغير، اليس كذلك؟

ـ توقفي عن حماقتك يا لورين! اذا كانت والدتي ترسل ماريا الى لندن، ذلك لأن ماريا تريد ذلك.

ـ لماذا؟

ـ كيف بامكاني ان اعرف السبب! وماذا بامكاني ان ارد على امي؟ كلا، مستحيل، حبيبتي تمانع؟!

قالت بتلعثم وغضب:

ـ انت... انت!...

ـ حسناً، انا متأسف، ما كان يجب عليّ ان اقول ذلك. في كل حال، ماريا هي ابنة زوج والدتي، ولم ارها تقريبا ابداً. كانت فتاة لطيفة، فيما مضى. لم تخلق اي مشكلة عندما تزوج والدها من والدتي. مع العلم ان المراهقات في سنها يمكنهن ان يكنّ قاسيات احياناً.

سألت لورين بفضول:

ـ واين ستسكن اذا جاءت الى لندن؟

ـ في منزلي، على ما أظن.

ـ في منزلك؟ في كينسينغتون؟

ـ ولِمَ لا؟

ـ اليس هذا ضد الاصول؟

ـ في ايامنا هذه؟ انت تمزحين!

ـ لكن انت، ما تزال... عازباً، وتعيش لوحدك...

ـ هناك السيدة لاسية. انها تعيش في منزلي.

قالت لورين باشمئزاز:

ـ مربية!

ـ اذن، لنتزوج! وتلعبين دور المراقب!

صرخت لورين بفارغ صبر:

ـ ماذا؟ تطلب مني الزواج وتريدني ان اسكن هذا الحي المعزول؟ كلا، شكراً!

اخذت نفساً طويلا من سيكارتها، فهزّ آدم كتفيه وتوجه بسرعة نحو الباب. تعلقت لورين به وقالت:

ـ لا، انتظر! اني آسفة، يا آدم! لقد سبق وتناقشنا في هذا الموضوع من قبل. الطبيب المشهور ما ردينغ يسرّه ان تدخل معه في العيادة انت تعرف ذلك.

ـ رددت على مسمعك مراراً، يا لورين: اني لا امارس هذا النوع من الطب.

صرخت به قائلة:

ـ تفضل مستوصفك الدنيء في الايست اند، في هذا الحي المتلوث والفقير!

ـ لن اترك المستوصف ابداً... وحتى من اجلك. ولن ادخل في عيادة طبيب عصري لأعالج المرضى الموسوسين الذين يأكلون بافراط وجشع.

ـ المرض ليس ميزه يتمتع بها الفقراء فحسب! قم بجهد بسيط من اجلي! اني احبك، واريد ان اتزوجك، انت تعرف ذلك جيداً...

اجابها آدم بحدة وهو يفتح الباب:

ـ لكن لن تتزوجيني الاّ بعد ان تنفذي شروطك! انهم في انتظاري في مستشفى القديس مايكل.

سألت لورين بفضول:
ـ لماذا؟
اجابها بهدوء:
ـ عليّ ان ارى مريضاً.
ـ امرأة، اليس كذلك؟
ـ نعم.
ـ انها افضل مني، بنظرك؟
ـ في الوقت الحاضر، نعم.
ـ احيانا، اكرهك، يا آدم ماسية!
قال مبتسماً:
ـ اني آسف. الى اللقاء.
ـ آدم!
اسرعت وراءه. كان يتكلم مع أليس في البهو سألته اليس:
ـ كيف حال السيدة اينسلي؟
ـ اجريت لها العملية الجراحية، لكنها ما تزال ضعيفة. سأزورها الآن. انها وحيدة!
ـ هل تسرّ.. فيما اذا ذهبت لزيارتها؟
اجابها آدم بصوت ناعم:
ـ طبعاً، بكل تأكيد.
كانت لورين شديدة الغضب. سألت أليس بلهجة غير مبالية:
ـ عمّن تتكلمان؟
ـ عن العجوز السيدة اينسلي. لقد حدثتك عنها. وقعت عن السلالم منذ بضعة ايام واصيبت بجروح ونزيف داخلي.
بدت على وجه لورين الدهشة. ثم نظرت الى آدم الذي كان يحدق فيها بنظرات ساخرة فلامت غيرتها وقالت:
ـ سوف.. سأراك في المساء، اليس كذلك، يا آدم؟
هزّ كتفيه وقال:

ـ من دون شك.
سمعت اصوات حديث في الطابق الاعلى. وظهر بعض الرجال على عتبة السلالم واخذوا ينزلون. فأعلن آدم قائلا:
ـ عليّ ان اذهب الآن، يا لورين.
ثم التفت الى الخادمة وقال:
ـ سأقول للسيدة اينسلي انك ستزورينها يا أليس.
وافقت الخادمة باشارة من رأسها ورافقته حتى الباب. اما بالنسبة الى لورين، فلم يكن لديها اختيار، كان يجب عليها موافاة الصحفيين المستعدين للخروج. رمقت آدم بنظرة متوسلة لكنه لم يدر لها وجهه. ابتسمت وحاولت ان تنسى الكبت الذي يوتّر اعصابها بشكل قاس وأليم.
صعد آدم في سيارته وشعر بارتياح كبير في داخله. يحدث له احياناً ان يتمنى لو لم يتعرف على لورين غريفيتس ابداً. انه يحب رفقتها، لكن وجهات نظرهما تختلف كليًا! وهي تذكر يوم اصطدمت سيارتها البنتلي الرائعة بسيارته الروفر الصغيرة. كانت هي المذنبة، لكنها استعملت كل الوسائل لتسحره. وانجذب آدم باهتمامها الزائد به، اذ كانت لورين ممثلة معروفة لدى هواة المسرح. ومن جانبها، انجذبت لورين برجولة آدم وملامحه الحازمة وخاصة بعمق عينيه الرماديتين المائلتين الى السواد. وجدته ذلك الرجل الجذاب وعرفت كيف تستحسن تصرفه الصريح والمباشر. وراحت ترى نفسها، تلك الممثلة الكبيرة، زوجة آدم ماسيه، الطبيب الاختصاصي المشهور. لكن جهودها المبذولة لتغييره باءت بالفشل. كان آدم رجلا واقعياً وكريماً. وكان مصراً الاّ يستعمل معلوماته في سبيل ارضاء طموحاته الشخصية، انما كان يستعملها لمساعدة المحرومين.
تنفس آدم الصعداء وادار محرك سيارته. والدته لم تترك له ايّ مجال للاختيار في رسالتها. ولم يجرؤ ان يقول ذلك للورين، نظراً لردة فعلها الغاضبة. ربما لورين على حق. ربما ترسل والدته ماريا لتراقبه

اذ انها كانت تطمح له بزوجة افضل من ان تكون مجرد ممثلة رائعة الجمال.

منذ زواجها الثاني من باتريك شيريدان، كان تأثيرها ضئيلا على آدم. فهي تسكن الآن في ايرلندا الجنوبية حيث يملك زوجها الاراضي الكثيرة. ونظرا الى اعمال زوجها، نادرا ما تأتي الى لندن.

وفكر آدم مبتسما: كم انها تعيش حياة مختلفة، بعد الآن! هي المرأة النشيطة عندما كان زوجها الاول ما زال حياً، اي والد آدم، الذي كان يملك مرآباً للسيارات في يتسموند! لكنها تكيفت بصورة رائعة في حياتها الجديدة. وفي فترة زواجها الثاني، كان آدم منكبا على دروس الطب. لذلك فهو يعرف قليلا جدا عائلة زوج والدته ولانشغاله المتواصل لم يتسن له الذهاب الى كيلكارني الاّ نادرا جدا.

فوجىء برسالة والدته ولم يكن يعرف كيف سيرد عليها بالضبط. بامكانه الرفض، لكن اي حجة سيستعملها، فضلا عن ان السيدة شيريدان تعرف المربية التي تسكن في منزله وتكّن لها ثقة عمياء. لذلك فلا يمكنه ان يتذرع بكونه اعزب غير قادر على استقبال فتاة مراهقة في منزله. في كل حال، ستة اشهر ليست سوى وقت قليل وستمضي بسرعة، كما هناك احتمال ان تتخلى ماريا عن متابعة دراستها قبل انتهاء المدة المحددة.

حاول ان يتذكر تلك الفتاة، لكن من دون جدوى. كل ما يتذكره وبغير وضوح هو جدائل شعرها المحيطة بوجهها الضاحك. فآخر مرّة رآها كانت منذ خمس سنوات عندما قام بزيارة سريعة الى كيلكارني لرؤية والدته والتعرف الى زوجها الجديد.

توجه آدم الى مستشفى القديس مايكل، الواقع قرب نهر التايمس اللندني. والمستشفى كناية عن مبنى قديم. ويحكى ان البلدية ستهدمه لتبني مكانه مستشفى حديثاً. لكن ما زال هذا الامر قيد الدرس... المعاملة هناك حسنة والموظفون على درجة كبيرة من الكفاءة. ومرّة اقترحوا على آدم ادارة المستشفى، لكنه رفض. اذ كان

يفضل العمل في مهنته كطبيب صحة عامة.

فرحت السيدة اينسلي بزائرها. كانت تعيش وحيدة وآدم بالنسبة اليها ليس فقط طبيبها بل صديقها ايضا. جلس قرب سريرها وراح يصغي بانتباه. اخبرته عن كل ما شاهدته وسمعته منذ اقامتها في المستشفى وكانت تردد عليه كم كان العاملون هنا لطفاء معها. ابنتها الوحيدة هاجرت مع زوجها الى استراليا منذ عدة سنوات وكانت ترسل اليها الرسائل من وقت الى آخر، لا اكثر ولا اقل. ويمكن القول بأنها كانت وحيدة في العالم. لم تكن تعرف احدا. تمضي نهاراتها في الخياطة والحياكة، برفقة كلبها الصغير.

وبعد مغادرته المستشفى عاد آدم لتوه الى المنزل الذي اشترته والدته بعد قليل من وفاة زوجها الاول، ومنذ ذلك الحين ظل آدم يسكنه. لم يكن منزلا كبيراً، لكنه كان مؤلفاً من اربع غرف نوم وامامه حديقة واسعة حيث يجلس ايام الصيف الحارة. لكن منذ قليل شيدت امامه وحوله البنايات العالية، وكانت قرب المنزل حديقة عامة خضراء بامكان آدم ان يراها من نوافذ منزله.

اوقف الطبيب الشاب سيارته الروفر امام المنزل وخرج من سيارته ودخل الى البهو المعتم. كان بحاجة ان يأخذ حماماً قبل ان يتوجه الى المستوصف. لكن فجأة، قبل ان يغلق الباب وراءه، لفت انتباهه معطف احمر على حافة السلم، ثم رأى امامه حقيبتين.

من المطبخ اتت اصوات غريبة. بحركة مفاجئة، انفتح باب المطبخ وشاهد وراء السيدة لاسي فتاة جالسة على كرسي صغير.

صرخت السيدة لاسي بحماس:

ـ لديك زائر، ياسيد آدم. زائر غير منتظر.

وبالرغم من ان شعرها الكستنائي بات منسدلا الآن على كتفيها، وبالرغم من نحافة جسمها، عرفها الطبيب من عينيها العنبريتين ورموشها الطويلة وفمها العريض وانفها الصغير. كيف تجرأت والدته وارسلتها من دون ان يعطيها الموافقة؟

قال بتهذيب ومن دون دفء:

- صباح الخير، يا ماريا.

لم تضطرب الفتاة لبروده، بل بالعكس، لمعت عيناها واقتربت منه وامسكت بعنقه وطبعت على خده قبلة حماسية. امسك آدم بمعصمها وابعدها عنه. وفوجىء بنظرات المربية المرحة.

قالت ماريا بابتسامة ساخرة:

- لا تنظر اليّ بلوم، يا آدم! الست سعيداً لرؤيتي؟

كان آدم ينظر اليها غير قادر ان يجد الكلمات التي تعبر عن عواطفه. اخيراً تمكن من القول وهو يرفع خصلة شعره:

- كيف جئت الى هنا؟

- بالطائرة. وصلت منذ ساعة تقريبا! واهتمت بي السيدة لاسي كل الاهتمام.

اطلق آدم زفرة وهتف قائلا:

- وصلتني رسالة امي هذا الصباح تسألني فيها اذا كان بامكاني استقبالك! ما كان يجب ان تكتب هذه الرسالة ما دام الامر هكذا!

قالت الفتاة وعيناها تلمعان:

- انها تجهل اني هنا.

- كيف؟

- كنت اكيدة انك سترفض استقبالي، اذا اعطيتك الوقت الكافي للتفكير بالامر. لكني كنت ارغب في المجيء مهما كلّف الامر.

- لكن اين يعتقد والدك انك موجود، الآن؟

- يعتقد انني امضي عطلة نهاية الاسبوع عند اصدقاء لي في دابلن! ومن هناك اخذت الطائرة الى لندن!

- لكنك فتاة عديمة التفكير! فتاة بسنك، تسافر وحدها!

- لم اعد طفلة.

- هذا ما اراه بالفعل! في كل حال لست كبيرة كفاية لتاخذي استقلالك.

- آه، آدم! جئت الى لندن للحصول على بعض الحرية! لا لأرى نفسي محجوزة ومراقبة كما كنت عليه في كيلكارني!

اقترحت المربية قائلة:

- من الأفضل ان تتصل بوالدتك، يا دكتور، ربما تكون قلقة على ماريا جداً.

- معك حق، يا سيدة لاسي. سأتصل بها في الحال. اما بالنسبة اليك، يا أيتها الفتاة الصغيرة... فلا أعرف ما أقوله...

- قل لي فقط ان بامكاني البقاء، ولن اسبب لك المشاكل او الهموم، اعدك بذلك.

كاد آدم ان يحتج. لكن احتجاجه لا فائدة منه. ماريا هنا وكان في نيته ان يقبل اقتراح والدته. صحيح انه لم يكن يتوقع ان تتصرف هذه الفتاة بهذا الشكل. كان يتوقع رؤية فتاة صغيرة، مجدولة الشعر، لكنه يرى الآن امامه فتاة واثقة من نفسها، ذات شعر ناعم واناقة لا تضاهى، ترتدي فستاناً ضيقاً وتنتعل حذاء جلدياً عالياً. ستفاجىء بقامتها كل سكان الحي المجاور الهادئين. كما كان يتصور ردة فعل لورين غريفيتس.

٢ - الزائرة الوقحة

افاقت ماريا مذعورة. اين ستائر الدانتيل على نافذتها والغطاء المحيك على سريرها؟ وخلال ثانية تساءلت اين تكون؟ لكن سرعان ما عادت الى ذهنها احداث الامس، فراحت تغوص بفرح تحت الاغطية المنعشة. طبعاً، لم تكن في كيلكارني، انما في لندن، عند آدم!

راحت تنظر في ارجاء الغرفة. الستائر الصفراء المقلمة تتلاءم بأناقة مع غطاء السرير ومع خشب اثاث الغرفة. يفترش الارض بساط سميك قمحي اللون. وفكرت ماريا ان والدها ليس من نوع الرجال الذين يحبون الاشياء الفاخرة. كان باتريك شيريدان رجلا عملياً، وعامياً. وبزواج جير الدين ماسي منه، نجحت لحسن الحظ

في تغيير موقف زوجها وجعلته اكثر انفتاحاً وتسامحاً مما كا عليه. وكانت دائماً بجانب ماريا ومن رأيها. وبفضلها سُمح للفتاة بالمجيء الى انكلترا لتتبع دروس السكريتاريا.

وكم حلمت ماريابرؤ ية لندن! فمنذ عدة سنوات، لم تكن تنوي الا تحقيق هذا الحلم والهرب من الحياة الريفية في كيلكارني حيث كان والدها احد اركان المجتمع هناك. لقد نشأت ماريا في الدير ولم تكن حياتها غير سلسلة متواصلة من القيود. وبعدما انتهت دراستها المدرسية، اصبحت حرّة في ان تتصرف كما يحلو لها، شرط ان يوافق والدها على مشاريعها.

بصعوبة كبرى توصلت الفتاة الى اقناع والدها بالمجيء الى لندن. ولو تردد آدم لحظة في استقبال ماريا في منزله، لرفض باتريك شيريدان على ابنته في المجيء. كانت ماريا تعي هذا الامر جيداً. لذلك خاطرت في الهرب من دون اعلام زوجة والدها، وحتى لو اضطرت الى تخييب آمال تلك المرأة.

تنفست ماريا الصعداء ونهضت من سريرها، بدا والدها مغتاظاً مساء امس على الهاتف، لكنه لم يصرّ على عودتها. ثم اصبحت الفتاة هانئة البال، لانها متأكدة من ان جيرالدين تعرف اقناعه بوسائلها الخاصة.

اقتربت ماريا من النافذة وفتحتها واتكأت على طرفها. الهواء كان منعشاً. ارتعشت قليلا. هل سبب ذلك البرد ام الفرح؟ فجأة بدت الحياة لها متحركة ونابضة ومليئة بالامكانيات والآمال.

وفجأة رأت ماريا في الجهة الثانية للشارع عجوزاً واقفة على عتبة بابها تنظر اليها بعينين مليئتين عتاباً. وفي الحال عرفت ماريا السبب، لأنها لم تكن ترتدي سوى قميص نوم قصير وشفاف. اغلقت زجاج النافذة بسرعة ابتسمت لصورتها في مرآة منضدة الزينة. لا يجب ان تحدث عند الجيران صدمة في اليوم الاول وتندم عليها فيما بعد! لا شك ان الجميع سيتساءلون من تكون ولماذا تسكن في منزل الدكتور

ماسيه. فآدم في سن الزواج والاشاعات تصبح في محلها، وتأخذ مجراها الطبيعي.

دخلت الفتاة غرفة الحمام الواسعة التي تفوح منها رائحة مسحوق الحلاقة وماء الكولونيا. ثم عادت الى غرفتها لتأخذ من حقيبتها ما يمكن ان ترتديه. فستفرغ محتواها فيما بعد. في الوقت الحاضر تتضور جوعاً. الساعة تفوق الثامنة صباحاً وفي ايرلندا من عادتها ان تتناول فطورها في ساعة مبكرة.

وبينما كانت ترتدي ملابسها كانت تأمل في ان تجد فرصة للتحدث مع آدم. ففي مساء امس لم يتبادلا الاّ الحديث العادي التافه. حيث سألها آدم عن اخبار والديها، لا اكثر ولا أقل. ثم توجه الى المستوصف في حي نسيت اسمه. وحسب ما قالته المربية، تناول العشاء في المدينة وامضت ماريا سهرة مملة واعدة نفسها الاّ يتكرر معها الشيء نفسه مرّة أخرى.

وبسروال ليلكي ضيق وقميص «بيج» تضغط على خصرها. نزلت ماريا السلالم. ولما وصلت الى البهو، ترددت وراحت تنظر حولها باهتمام. البساط معرّق بالازرق والاخضر، والابواب بلون الخشب الفاتح، والخزانة ملمعة وضعت عليها باقة من التوليب والخنشار. كل شيء يؤكد ذوقاً عميقاً شديد التحفظ.

كانت تتساءل فيما اذا كان آدم يأخذ فطوره في الغرفة نفسها حيث تناولت مساء امس طعام العشاء. حينئذ خرجت المربية من المطبخ واقتربت منها. كانت تبدو متوترة، فقالت:

ـ آه! استيقظت باكراً، يا آنسة. كنت. . . على وشك ان اصعد اليك الفطور لتأخذيه في سريرك. الدكتور اعتقد انك ستكونين مرهقة بعد رحلتك الطويلة.

اكدت لها الفتاة بلطف قائلة:

ـ لست متعبة ابداً، يا سيدة لاسي. اني اتمتع بصحة جيدة، من جميع النواحي. والآن اخبريني، اين آدم؟

حاولت المربية اخفاء استيائها لما ترتديه الفتاة، كما ان ماريا كبتت ضحكتها.

ـ السيد آدم ينهي فطوره، يا آنسة. من هنا. . .

فتحت المربية باب غرفة الطعام حيث اخذت ماريا وجبتها البارحة وحدها. فشكرتها ودخلت الغرفة.

كان آدم يقرأ جريدة الصباح ولم يلاحظ وجودها. كم هو جذاب في بدلته القاتمة وقميصه البيضاء! وبسهولة اعتيادية، وضعت ماريا ذراعها حول عنقه وطبعت قبلة على رأسه كما تفعل عادة مع والدها كل صباح.

انتفض آدم ووقف دافعاً صحيفته من يده، ومبعداً خصلة شعره عن جبينه وقال محتجاً:

ـ ماريا!

قالت في بسمة مشرقة:

ـ صباح الخير، يا آدم. اني متأسفة على تأخري.

جلست على الكرسي امام المائدة فاستعاد آدم برودة اعصابه وقال لها:

ـ لست متأخرة. لا شيء يجبرك على النهوض باكرا. اما انا فيجب عليّ ان اكون في المستوصف في الساعة الثامنة والنصف.

هزّت ماريا كتفيها وامسكت ابريق القهوة وسكبت لنفسها فنجانا صغيرا وقالت وهي ترشف قهوتها:

ـ احب كثيراً ان انهض من النوم باكراً. وفي كلّ حال، من الافضل الاّ تأخذ فطورك وحدك. قالت لي والدتك انها كانت تتناول فطور الصباح دائماً معك.

اجاب آدم بجفاف وهو يحتسي قهوته دفعة واحدة:

ـ الامر يختلف كلياً.

ـ ولماذا اذن؟ انا شقيقتك، لا تنسى!

ـ انت لست شقيقتي، بل ابنة زوج والدتي.

ضحكت ماريا وغيرت الحديث قائلة:
- م، م، م، القهوة رائعة... آه! تأكل البيض واللحم عند الصباح؟
- هذا شأني!
- من دون اي شك. هل ستقدم لي السيدة لاسي الشيء نفسه ايضا؟
اجابها بلهجة قاطعة:
- عليك انت ان تطلبي منها ذلك!
تنفست ماريا الصعداء وراحت تنظر اليه في خضوع واستسلام.
- الن تبقى بعض الوقت ايضاً، يا آدم؟
اجابها بقسوة وهو يلقي نظره الى ساعة يده:
- لم يعد لدي وقت لاضاعته.
اطلقت ماريا زفرة ثانية وقالت:
- حسناً. سأنتهي من احتساء قهوتي واحضر للحال.
كان آدم يتفحص اوراقه في حقيبته. ثم راح ينظر اليها من دون ان يفهم شيئاً. ثم سألها:
- ماذا تقصدين؟
سكبت ماريا لنفسها فنجاناً آخر وقالت:
- سأذهب الى المستوصف معك، صباح اليوم. احب ان اعرف اين تعمل وربما امكنني مساعدتك.
قال مندهشاً:
- شكراً، يا ماريا. لكن ذلك ليس ضرورياً. لدي سكرتيرة جديدة. عليك ان تجدي لنفسك شيئاً تفعلينه في نهارك!
- انا مصرّة على مرافقتك، يا آدم.
- هذا غير وارد اطلاقاً. واذا قررت الخروج من المنزل لبعض الوقت، من الافضل ان تغيّري ملابسك.

- ماذا عندك ضد ملابسي؟
اجابها بعنف قائلا:
- اذا كنت لا تعرفين السبب، فليس لدي وقت لأن اشرحه لك!
قالت وهي تضغط على معصميها غضباً:
- تذكرني بوالدي. تقول هذا الكلام من اجل ازعاجي ومضايقتي. انا اعرف ذلك جيداً.
رمقها آدم بنظرة سئمة وخرج من الممرّ. كاد ان يصطدم بالسيدة لاسي. تبعته ماريا وحملت معطفها الاحمر عن المشجب وارتدته.
فقال لها بحزم وهو يرتدي سترته المصنوعة من فرو الخروف:
- ليس وارداً كليا أن تأتي معي الى المستوصف، يا ماريا. اني آسف، لكن ليس هو مكان لـ... لفتاة مثلك.
كاد ان يقول «لطفلة مثلك» لكنه ادرك الامر قبل فوات الاوان. وجرح شعور ماريا، وكان ذلك ظاهراً على وجهها. لكنه همس من جديد قبل ان يصفق الباب وراءه:
- اني آسف، اني حقاً، آسف!
خلعت ماريا معطفها وعلقته من جديد. ثم وضعت يديها في جيبي سروالها وعادت ببطء الى غرفة الطعام. وراحت تتساءل اذا كانت قد فعلت حسناً بالمجيء الى لندن.
جلست امام الطاولة وراحت تقرأ صحيفة النهار. دخلت السيدة لاسي الغرفة بعد قليل ونظرت الى الفتاة ورأت الحزن يملأ عينيها العنابيتين. فسألتها المربية بتهذيب:
- ماذا يمكنني ان اقدم لك، يا آنسة؟
لم تكن ماريا ترغب في التكلم الى اي كان، لكنها اجابت بلطف وتهذيب:
- لاشيء، شكراً.
- عليك ان تأكلي بعض الشيء، يا آنسة. لا شك انك جائعة!
اجابت ماريا بهدوء:

- انا لست جائعة!

وضعت السيدة لاسي الصينية جانباً ثم عقدت ذراعيها وقالت:

- ما بك يا آنسة؟ ما تقومين به شيء تافه. لن تصومي عن الطعام بحجة ان الدكتور آدم رفض ان يدعك تذهبين معه؟

- لا علاقة لآدم بمزاجي!

- انا متأكدة ان العكس هو الصحيح. من الافضل ان تتحملي مصيبتك بصبر.

ابتسمت ماريا فهي سعيدة بطبيعتها وليس من عادتها الاستياء او الغيظ. في كل حال ليس هذا خطأ السيدة لاسي!

- معك حق. كنت اود مرافقة آدم. ولم انجح والآن لم اعد اشعر بالجوع.

- ما رأيك بقليل من حساء الشعير؟ او البيض مثلا؟

شعرت ماريا باشمئزاز وقالت:

- لا! لا! سآخذ بعض الخبز المحمص.

- حسناً، يا آنسة. سأجلب لك خبزاً محمصاً. وهل تأخذين معه مربى البرتقال من صنع البيت؟

قالت ماريا مبتسمة:

- فكرة رائعة!

وبعدما انتهت ماريا من تناول فطورها شعرت بالسأم وسألت السيدة لاسي اذا بامكانها مساعدتها.

فوجئت المربية وقالت.

- ماذا تعنين بذلك، يا آنسة؟

اقترحت الفتاة عليها قائلة:

- بامكاني ان ارتب الأسرّة، او ان اغسل الملابس. وبامكاني ان احضر الغداء ايضا.

ذهلت المربية لما سمعته. فهذه اول مرّة تقترح احدى المدعوات مساعدتها. فقالت:

- هذا لطف منك، يا آنسة. لكن الامر غير ضروري. فالمنزل ليس كبيراً.

- لكن لديك شخص اضافي، الآن. يعني انا.

- انت فتاة طيبة، يا آنسة. غير ان السيد آدم لن يوافق على ذلك، على ما اظن. بامكانك ان تشتري لي بعض الخضر والفاكهة وحاجيات المطبخ من الشارع الرئيسي، اذا كان ذلك يسليك. لم تخرجي بعد منذ وصولك.

ترددت ماريا وقالت:

- شراء بعض الحاجيات؟ اتفقنا. بامكاني ان اتسلى واتعرف على الحيّ.

فرحت المربية لايجادها حلاً لمشكلة الفتاة، فتوجهت الى المطبخ تحضّر اللائحة. وبعد قليل حملت ماريا لائحة المشتريات وسلة وحافظة نقود وتوجهت الى الشارع العام.

كان يوماً جميلا من اجمل ايام الربيع. فشعرت ماريا بسعادة وهناء لانه الشعور نفسه الذي احست به في الصباح حينما استيقظت من نومها. تذكرت الحادثة في غرفة الطعام. من الواضح ان ادم يجد صعوبة للتكيّف بوجود اشخاص جدد في المنزل. ذلك شيء طبيعي! لا يجب ان تطلب منه الكثير. الاطباء لا يعيشون نمط الحياة التي يعيشها المزارعون. ليس لديهم برنامج عمل محدد، واذا بدوا شديدي الرصانة، ذلك لأنهم يتحملون مسؤوليات كبيرة.

وبهذا المزاج توجهت الفتاة الى السوق لابتياع ما تحتاجه السيدة لاسي لتحضير الطعام. قامت بمهمتها بجدية تامة. كانت تختار بنفسها شرائح اللحم في حانوت الجزار، وتختار بيدها ثمرات البندورة، واحدة واحدة لدى بائع الخضار. ولم يلاحظ احد معطفها البرتقالي وسروالها الليلكي. ولدى عودتها، لاحظت انها قامت بتوفير ملحوظ، فدهشت السيدة لاسي للأمر، هي التي كانت تتوقع ان تنسى الفتاة نصف المشتريات. واحضرت المربية القهوة لتجلس مع

ماريا في المطبخ وراحتا تحتسيانها وتثرثران بعض الشيء. اخبرتها عن حياتها في كيلكارني، ثم بعد قليل غيّرت الموضوع بمهارة وسألتها:

- في اي ساعة يأتي آدم الى الغداء؟

ابتسمت السيدة لاسي واخذت فنجانها الفارغ لتضعه في المجلاة ثم اجابت:

- في حوالى الواحدة. لكنه لا يأتي دائماً الى الغداء.

قالت ماريا محاولة اخفاء خيبة املها:

- آه.
- يتصل هاتفياً في الحادية عشرة اذا كان ينوي البقاء خارجاً.
- هل اتصل اليوم بك؟
- كلا، يا آنسة. هذا يعني انه آت. وفترة بعض الظهر لا يعمل عادة. لكنه يعود الى العمل في المساء. انه يعمل كثيراً مع زميليه: السيد هادلي والسيد فينسانت.
- من هما؟
- شريكاه.
- آه، افهم الآن. انهم يعملون جميعاً في ايسلينغتون، اليس كذلك؟
- نعم، يا آنسة.
- واين تقع ايسلينغتون؟
- في الأيست اند. ليست منطقة جميلة، لكنها مزدحمة بالسكان.

قالت ماريا مقطبة الحاجبين:

- الأيست اند؟ حسب زوجة والدي، هناك عدد هائل من الاكواخ القذرة.
- عدد كبير، نعم ومعظمها في ايسلينغتون.
- الا تفعل الدولة شيئاً لمقاومة هذا الواقع المرير؟
- يجب هدم معظم الابنية المخربة كي يتم انشاء الابنية الجديدة.

لكن هذا لا يمكن ان يحصل بسرعة وبسهولة.

- وفي هذا المنطقة بالذات يعمل آدم؟ لماذا؟

كتفت المربية ذراعيها وراحت تشرح للفتاة قائلة:

- لأن هناك من هم بحاجة اليه، يا آنسة. البيوت رطبة وغير صحية وبالتالي فهي وكر للجراثيم. كما يعيش عدد كبير من العجزة. مثل السيدة اينسلي التي هي الآن في مستشفى القديس مايكل.
- السيدة اينسلي؟
- انها عجوز تبلغ السبعين من عمرها. تعيش وحدها. ولسوء حظها وقعت الاسبوع الفائت من على السلالم.

استغربت ماريا وهي تضع يدها على حنجرتها. ثم قالت:

- آه، مسكينة لهذا الحادث. هل اصيبت بجراح خطرة؟
- ما زالت حية ترزق. لكن اصيبت بنزيف داخلي.
- من الذي وجدها؟
- آدم وجدها. كان من عادته ان يمرّ لزيارتها ويسأل عن احوالها. وهي الآن في المستشفى والله وحده يعلم متى ستخرج، يا لها من امرأة مسكينة!

استعلمت ماريا وهي تعض على شفتيها:

- اليس عندها عائلة واقارب؟
- لا اعتقد. ليس في انكلترا، في كل حال. كان لديها ابنة هاجرت الى استراليا من زمان بعيد.

تنهدت ماريا قائلة:

- احب العمل على مساعدة الناس.

سألتها السيدة لاسي بتعجب:

- ومدرسة السكريتاريا؟ الم تحضري خصيصاً الى انكلترا لتصبحي طابعة على الآلة الكاتبة؟
- لم اعد اعرف شيئاً، يا سيدة لاسي. تتصور جيرالدين ان هذه المهنة ستناسبني، لكن بعد سماعك الآن، بدأت اشك بذلك. لا

شك ان هناك مئات من الناس يعيشون وضع السيدة اينسلي. ربما بامكاني ان اقوم بعمل خاص بالمجتمع...

ـ ليس الامر شديد السهولة. يجب ان تتحلّي بالصبر أمام كل تجربة ومحنة.

ـ انت على حق. في ايرلندا، العائلة كبيرة وهناك دائماً احد في العائلة للاهتمام بالعجزة. جدتي ما زالت على قيد الحياة وتسكن بيتاً صغيراً قرب منزل والدي. ولن يخطر بباله ان ينتقل الى مكان آخر ويتركها وحيدة!

تنهدت المربية وقالت:

ـ الوضع هنا مختلف كلياً. ليس أمام الناس وقت لهذا. انهم منهمكون بمحاولة ان يكونوا افضل من جيرانهم. سيصبحون هم يوماً ما عجزة ويكون قد فات الأوان. لا تكوني قابلة للضعف والّا ستجدين دائماً من يستفيد منك.

ـ انت قاسية، يا سيدة لاسي!

ـ ربما!... بصفة عملي عند السيد آدم رأيت البؤس بعيني! لكن نصف هؤلاء التعساء لا يستحقون المساعدة التي تعطى لهم. من الأفضل لك ان تتابعي دروس الطباعة. وهذا يمنعك من القيام بحماقات!

قالت الفتاة في اغتياظ:

ـ انا ناضجة واعرف ما يجب فعله!

قالت السيدة لاسي بارتياب:

ـ هل تعتقدين ذلك؟ لست اكيدة تماماً. لندن مدينة شاسعة.

قالت ماريا باختصار:

ـ وانا لست بنت البارحة.

ـ لم اقل لك ذلك. لكن السيد آدم اخذ على عاتقه ايواءك وتحمل مسؤوليتك.

وهو يعمل كثيراً ويكفيه ما لديه.

تنهدت ماريا ولم تعد تتحمل هذا الحديث. وبما انها لم تكن قد افرغت محتوى حقيبتها قررت الصعود الى غرفتها وترتيبها وارتداء ملابس اكثر احتشاماً قبل مجيء آدم.

كانت على وشك تحقيق مشاريعها عندما رنّ الجرس.

فسألت السيدة لاسي:

ـ هل تتفضلين، يا آنسة بفتح الباب؟ يداي مبللتان. اذا كان الطارق يريد الدكتور فقولي له ان يعود في وقت آخر.

وافقت الفتاة وقالت:

ـ حسناً.

ملست ماريا شعرها بيدها وفتحت الباب. ولدهشتها، رأت امرأة رائعة، ناعمة، ذات شعر اشقر قمحي مرفوع بكعكة. كانت تحدق اليها بطريقة عدائية. فسألتها ماريا:

ـ هل بامكاني مساعدتك؟

كانت سيارة ليموزين يقودها سائق، واقفة امام باب المنزل.

ـ لا شك انك ماريا. كلمني آدم عنك.

ـ نعم، اوه... تفضلي وادخلي.

خرجت السيدة لاسي من المطبخ وقالت بتهذيب، وهي تمسح يديها بمريولها:

ـ ها انت، آنسة غريفيتس؟ لم يصل السيد آدم بعد.

قالت لورين وهي تخلع قفازيها الرماديين:

ـ لم احضر لرؤية آدم، انما جئت للتعرف الى... ماريا.

قالت المربية:

ـ حسناً... هل يعرف السيد آدم انك هنا، يا آنسة؟

اجابت ببرود وهي تهز حاجبيها:

ـ لا اعتقد. هل هذا ضروري؟ اني اكيدة، يا سيدة لاسي، انه لن يعارض مجيئي.

اخفضت المربية عينيها أمام نظرات لورين الملحة وقالت:

- كلا، يا آنسة. اوه... هل تريدين بعض القهوة؟
- اذا لم يكن هناك من ازعاج، يا سيدة لاسي.
اشمأزت المربية وابتعدت صوب المطبخ.
فتمتمت لورين بين اسنانها قائلة:
- عجوز حمقاء!
احمرّت وجنتا ماريا لدى سماعها هذا التعليق. فأسرعت لورين تقول:
- السيدة لاسي لم تقم بمهمة التقديم. أُدعى لورين غريفيتس.
ولما شعرت لورين ان اسمها لم يوقظ أيّ صدى عند ماريا، تابعت تقول:
- هل كلمك آدم عني؟
- كلا. لم اره من زمان بعيد ووصلت لتوي الى لندن. فلم نجد مجالا للكلام بعد.
قالت لورين بصوت ساخر:
- صحيح؟ دعينا نجلس اذن في الصالون الصغير.
اجابت الفتاة باستعجال:
- نعم، بالطبع.
لم تكن ماريا تعرف كيف تتصرّف مع هذه المرأة التي يبدو انها تعرف آدم معرفة جيدة.
تبعت ماريا لورين الى الصالون الصغير، الذي هو كناية عن غرفة منيرة، اثاثها بسيط لكنه بالغ الذوق ومؤلف من مجموعة مقاعد جلدية سوداء. وعلى الارض بساط قمحي اللون وجهاز تلفزة واسطوانات ورفوف مليئة بالكتب تكمل الديكور بشكل رائع. وابواب زجاجية عريضة تفتح على شرفة مغلفة بالنبات تتسلق الجدار شجرة ورد بريّ.
خلعت لورين معطفها عن فستان صوفي ازرق انيق بشكل بارز. ثم جلست على المقعد واشارت الى ماريا بالجلوس الى قربها.

تظاهرت ماريا بأنها لم تر شيئاً. فلم تكن ترغب بالجلوس قرب هذه المرأة التي جاءت تتفحصها عن قريب. كانت تفضل البقاء واقفة قرب المدفأة وهي تتساءل ما هي حقيقة العلاقات بين لورين وآدم.
بارتياح وكأنها في منزلها، تناولت لورين سيكارة من علبة موضوعة على الطاولة، اشعلتها واخذت سحبة عميقة ثم قالت:
- لا شك ان آدم فوجىء لدى رؤيتك هنا، مساء امس...
قالت ماريا بسذاجة:
- آه، نعم. في كل حال لم يكن سعيداً بمجيئي.
سألت لورين وهي تنظر الى الفتاة بامعان وانتباه:
- هذا ما توقعته! الم يكن من الافضل لو انتظرت دعوته؟
اجابت ماريا بدهشة:
- كلا. في كل حال، آدم شقيقي.
- انه ابن زوجة والدك. كيف يكون شقيقك؟
- انه جزء من العائلة!
احضرت السيدة لاسي القهوة ووضعت الصينية قرب لورين وقالت:
- تريدين شيئاً آخر، يا آنسة؟
- كلا. هذا كل شيء، يا سيدة لاسي.
استأذنت المربية باختصار وخرجت. وتمكنت ماريا من رؤية الاستياء وعدم الرضى في عينيها. أليست لورين غريفيتس صديقة آدم؟
سكبت لورين القهوة وقدمت فنجاناً الى ماريا التي رفضته. لقد احتست فنجاناً مع المربية ولم تكن ترغب ان تبدو لطيفة مع هذه المرأة، التي لم تستحسنها بصراحة. لماذا تصرّ لورين غريفيتس ان تتعرف عليها؟ فليس هناك اي تشابه بينهما!
سألت لورين:
- اي دروس تنوين متابعتها؟

افاقت ماريا من احلامها واجابت:
ـ لا اعرف بعد، يا آنسة. ليس عندي مشاريع محددة وواضحة حتى الآن.
ـ كان من الأفضل لك ان تتبعي دروس السكريتاريا في بلادك. فهناك مدارس بهذا الخصوص، اليس كذلك؟
كانت تتكلم كأن ايرلندا بلاد بعيدة. اجابتها الفتاة بتهذيب:
ـ نعم، يا آنسة. لكنني كنت مصرّة على المجيء الى لندن.
ـ آه! ليس الأمر... كيف اجد الكلمات... ليس مناسباً ان تسكني معه.
وبما انه لم يبد على ماريا انها فهمت، فتابعت لورين كلامها وهي تطفىء سيكارتها بعنف:
ـ لنتكلم بوضوح وصراحة. كان من الافضل ان تتقاسمي شقة مع فتيات اخريات بدلا من ان تسكني مع آدم!
تقلصت ماريا. هذه الفكرة لم تخطر ببالها. في كل حال لا يسمح لها والدها بذلك.
اجابت ماريا بحدة وغضب:
ـ بامكاني ان اسكن حيث اريد، يا آنسة. وهذا شأني والأمر لا يخصك!
التفتتا معاً بسرعة ووجدتا آدم واقفاً على عتبة الباب. فلم تسمعاه يدخل.
نهضت لورين في الحال واسرعت نحوه وقالت بصوت ناعم:
ـ آدم! حبيبي! كنت انتظرك!
رمقها آدم بنظرة ساخرة، وامسك يدها كي يمنعها من ان تقفز على عنقه. تفحص ماريا بنظرة مستفسرة، لكن الفتاة هزّت كتفيها. فلم تكن تنوي ان تبرر سلوكها امام لورين غريفيتس.
التفت آدم الى لورين وقال في تحد:
ـ ماذا، يا لورين؟ ماذا تفعلين هنا؟

ارادت لورين ان تلاطفه لكنها ادركت في الحال ان الوقت لا يسمح لمثل هذه المداعبات لكنها اختارت ان تكون صادقة وقالت ببرود:
ـ اردت ان اتعرّف الى ماريا. انني خطيبتك، يا حبيبي، اليس كذلك؟
اجاب آدم برصانة ورباطة جاش:
ـ صحيح؟
تنهدت لورين وقالت:
ـ طبعاً صحيح! كان من الأفضل ان تخبر... ماريا بذلك!
كانت ماريا تحافظ بصعوبة على برودة اعصابها. ولورين امرأة وقحة ببساطة. اما الرجل فلم يكن فرحاً بالوضع وكان مغتاظاً بعض الشيء. لا شك انه مستاء من جواب ماريا الموجه الى خطيبته. لماذا لم يخبرها عن خطوبته؟ لماذا لم يعلمها بزيارة لورين؟ فهي الآن في وضع حرج للغاية. فهمست تقول:
ـ المعذرة.
ثم خرجت من الغرفة، وصعدت الى غرفتها وصفقت الباب بعنف وراءها. ونظرت الى صورتها في المرآة... يبدو انه نهار سيّء!

٣- امرأة على مقعد

فتحت ماريا حقيبتها وعلقت ملابسها في الخزانة، لكن قلبها كان حزيناً للغاية. ستستعمل لورين غريفيتس كل ما لديها من وسائل الاغراء لتقنع آدم بضرورة اعادة الفتاة الى كيلكارني. وهذه الفكرة جعلتها تشعر بتوتر كبير.

اغتسلت ثم ارتدت فستاناً قصيراً برتقالي اللون يظهر جمال قوامها، ثم سرّحت شعرها بتأن. لكنها لم تكن تجرؤ على النزول.

اعلنت السيدة لاسي قائلة:

- آنسة ماريا! الغداء جاهز!

لبّت ماريا على مضض دعوة المربية. ولما دخلت غرفة الطعام كان نظرها يعبّر عن تحد ولوم. لكنها فوجئت اذ وجدت نفسها وحدها.

وقد اعدت الطاولة لشخصين. وفجأة سمعت وقع اقدام خلفها، فالتفتت متوقعة رؤية السيدة لاسي. لكن القادم كان آدم بالذات. فتوافد الدم علي خدها. .

أمرها مشيراً اليها بالكرسي قائلا:

- اجلسي!

اطاعت ماريا فهي لا تريد البدء بالحديث. وفي هذا الوقت توجه آدم الى خزانة الشراب واعدّ لنفسه كأساً بينما كانت ماريا تنظر اليه فارغة الصبر. هل سيطلب منها مرافقته؟ واين هي لورين غريفيتس؟

عاد آدم ووضع كأسه على الطاولة وجلس مكانه وراح ينظر الى الفتاة بطريقة غامضة، بينما كانت تسحق الفوطة التي بين يديها آملة ان يقول شيئاً... اي شيء!

لكنها سألته اخيراً:

- اين الآنسة غريفيتس؟

اجابها وهو يهزّ كتفيه:

- لديها موعد مع مديرها الفني، مدير اعمالها، بصورة عامة.

- مدير اعمالها؟ ماذا تعمل؟ هل هي ممثلة؟

قال بلهجة ماكرة:

- الم يسبق ان سمعت بها من قبل؟

- لماذا؟ هل هي ممثلة مشهورة؟

- لديها نجاح كبير، هنا وفي أميركا.

- آه، فهمت. كانت تنتظر مني ان اعرف من تكون. لا شك انني خيّبت آمالها، يا آدم!

- هذه وجهة نظرك! قولي، ماذا كان يحصل بالضبط ذلك الصباح عندما قاطعتكما؟

احمرّ وجه ماريا وأجابت:

- الم تخبرك لورين شيئاً؟

- لو اخبرتني شيئاً لما طرحت عليك السؤال؟
- من يعلم؟ ربما تنتظر مني ان اموّه الحقيقة!
- لأي سبب؟
كانت ماريا في حال الدفاع فقالت:
- حسناً. بالنسبة اليها، ما كان يجب عليّ المجيء الى هنا من دون دعوتك كما انه من المفروض ان اسكن في شقة مع فتيات من عمري.
قال آدم باهتمام:
- صحيح؟ وماذا كان جوابك؟
اجابته بسرعة واختصار:
- سمعت ما كنت اقوله!
- عظيم الافضل ان اكون على علم بما يحدث. وأفضل الحقيقة على الكذب. لا تنسي ذلك ابداً!
دخلت السيدة لاسي غرفة الطعام حاملة صينية الفطور لشخصين. سكتا برهة ليتذوقا الطعام الشهيّ. ثم بدأت ماريا تقول:
- الم تخبر والدتك بمشروع زواجك؟
فاجابها رافعاً عينيه:
- كلا.
- لماذا؟ لو كنت على علم بذلك، لما تكلمت على ذلك النحو صباح اليوم!
اتكأ آدم على كرسيه مسترخياً واجاب:
- تعرفين والدتي جيداً. هل تعتقدين جدياً ما اذا كانت لورين ستعجبها؟
وضعت ماريا مرفقيها على الطاولة وراحت تفكر بعمق ثم اجابت حالمة:
- لا اعرف. ربما. . . في كل حال المهم هو سعادتك.
قال بسخرية واضحة:

- اية حكمة!
ثم صرّحت بعفوية غير منتظرة:
- اما اذا كنت تريد رأيي بالامر، فلا اعتقد ان لورين بامكانها اسعادك.
اجاب بغيظ:
- لم اسأل رأيك بالامر.
- كلا. لكنني مصرّة على ان اعطي رأيي. هل. . . هل تعرفها من زمان؟
- منذ سنة.
لا شك ان ماريا ضايقته باسئلتها المحرجة والوقحة. فنهض آدم عن الطاولة. لم تحضر السيدة لاسي القهوة بعد. هل سيرحل ويتركها وحدها مرّة اخرى. نهضت بدورها وراحت تتمشى حول الطاولة مكتفة الأصابع بعصبية. ثم تنهدت وقالت:
- انني آسفة. ازعجتك، اليس كذلك؟
كان آدم ينظر اليها بتلهف ثم قال:
- انك تضايقينني، يا ماريا! اتساءل اذا كانت لورين على حق في ما قالته بأن عليك استئجار شقة واقتسامها مع فتيات من سنك.
- لست جاداً في ما تقول!
- ولم لا؟ انت توافقين معي ان وصولك الى هنا كان مبكراً وقبل اوانه!
احتجت بسرعة واحتلها الغضب وقالت:
- انك تعاكسني عن قصد!
ازاح آدم الخصلة عن جبينه. ربما كانت على حق، ربما كان آدم قاسياً، لكن صراحته تجرحها وتوتر اعصابها بصورة كبيرة.
رنّ الهاتف. فتح آدم الباب بارتياح وتوجه نحو مكان الهاتف. بعد لحظات عاد وبرفقته السيدة لاسي التي جلبت صينية القهوة.
احتجت المربية قائلة:

- لن تذهب من دون احتساء القهوة، يا دكتور.
- بلى. فهناك امور طارئة.
سألت ماريا:
- ماذا؟ ماذا يجري؟
- احد المرضى اصابته نوبة قلبية. ولذلك يجب ان اذهب بسرعة. انني متأسف. لكن الواجب يناديني.

وفي الواقع كان سعيداً جداً لانهاء هذه المحادثة. وهذا كان ظاهراً في عينيه.

لم تعلّق ماريا على ما قاله. وبعد لحظات، اقلعت سيارة الروفر.

في حوالى الثانية بعد الظهر قررت ماريا ان تقوم بنزهة في شوارع لندن برغم معارضة السيدة لاسي وانذاراتها..

حملت الفتاة سترة صوفية وخرجت من المنزل. كانت تشعر بانزعاج والنزهة لا شك انها ستغيّر مزاجها الكئيب. امس، في مثل هذه الساعة، كانت تشعر بغبطة ومرح، وكان قلبها مليئاً بالأمل! اما اليوم فهي حزينة وفاترة الهمة!

حاولت ماريا ان تتذكر آدم عندما كان يأتي الى كيلكارني. ووجدت صعوبة ان تقيم مقارنة بين رجل الماضي ورجل الحاضر. في الماضي كانت ماريا ما تزال صغيرة، متأثرة بتجربة آدم وحكمته. كان في ذلك الوقت شديد الانسانية وكريماً وعلى استعداد دائم ان يسمع مشاكلها، وان يسألها عن مستقبلها. كم تغيّر الآن! فهو الآن يتصرّف عكس ما كان عليه، اذ انه يعتبرها عبئاً. هل ينوي منعها من الاقامة في منزله؟ هل تصرّفت بعجلة كما يلمّح لها؟ وتنهدت ماريا لهذه الافكار وشعرت فجأة بحنين الى المنزل الوالدي في ايرلندا.

وصلت الفتاة الى الشارع العام في كينسينغتون. توقفت لحظة فهي لا تعرف اي طريق تسلكه وندمت لأنها لم تشتر خارطة المدينة، كانت تعتبر ان آدم هو الذي سيأخذها عبر العاصمة البريطانية.

راحت تمشي كيفما اخذها التيّار متابعة من دون حماس الشارع

الرئيسي. فجأة وجدت نفسها في ساحة البيكاديللي. وراحت تكتشف الاماكن العزيزة على السيّاح، ونسيت لفترة مؤقتة مشاكلها. فهي الآن في قلب العاصمة، هذه المدينة المشهورة التي طالما سمعت عنها من جميع معارفها.

أمضت ماريا فترة بعد الظهر في زيارة المكان وهي تنظر بانفعال الى المباني الاثرية والبيوت القديمة التي تشهد الماضي. وراحت تتأمل من اعلى جسر لندن حركة الناس. ثم ارتعشت لدى رؤيتها برج لندن المشهور. تاريخ انكلترا داخل هذه الحصون! في هذا البرج بالذات سقط رأسا ملكتين، كما يحفظون في الداخل مجوهرات التاج. ووعدت نفسها ان تزور البرج في احد الايام. كما ان هناك اماكن عديدة ترغب في رؤيتها. لكنها تفضل ان تزور هذه الاماكن برفقة شخص آخر!

بدأت الشمس تستعد للمغيب. شعرت ماريا بالكرب لمجرد ان تجد نفسها من جديد وحيدة في غرفة الطعام الشاسعة.

اغرورقت الدموع في عينيها لكنها كبتتها بعزم وراحت تمشي مصممة انه لا يجب عليها البكاء. جاءت الى لندن بملء ارادتها وستحاول ان تستفيد قدر الامكان من اقامتها اذا ما قررت البقاء هنا.

عادت ماريا الى ساحة البيكاديللي. وشعرت بالذعر القريب من الجنون. كان الازدحام في اوجه. حاولت ايقاف سيارة تاكسي، لكن الجمهور كان كثيفاً وحركة السير جامدة، ففضلت التوجّه الى مقهى صغير لتأكل سندويشاً وتحتسي فنجان قهوة بانتظار ان يخف ازدحام السير. وشعرت بفرح لجلوسها في المقهى تحتسي القهوة بهدوء بينما الازدحام يزداد قوة في الخارج. ستنتظر ان تخف حركة الناس في الشوارع. فوضعت يديها في جيبي سترتها الصوفية واتجهت نحو هايد بارك.

لما وصلت الى الحديقة العامة، احست ماريا بثقل في ساقيها،

فاختارت مقعداً لترتاح عليه قليلا . ثم خلعت حذاءها لان قدميها تورمتا. من المستحيل ان تستطيع العودة الى المنزل مشياً على الاقدام! لذا عليها ان تستقل سيارة تاكسي!

جلست امرأة عجوز قربها وابتسمت لها وقالت بلطف بعدما ألقت نظرة سريعة الى قدمي الفتاة:

ـ حسن ان تستريحي قليلا.

ـ نعم. امضيت كل فترة بعد الظهر في المشي.

انتعلت حذاءها بألم. فقالت العجوز:

ـ صحيح؟ انت لست بفتاة انكليزية، اليس كذلك؟

ـ كلا، انا ايرلندية.

ـ هذا ما كنت اظنه . واعتقد انك وصلت الى لندن لتوك، اليس كذلك؟

تنهدت ماريا قائلة:

ـ نعم. ان لندن مدينة كبيرة، اليس كذلك؟

ـ طبعاً. والامر يكون صعباً اذا كان الزائر لا يعرف احداً. هل تبحثين عن عمل؟ في فندق؟

قالت ماريا وهي تهز رأسها:

ـ لا، كلا! اريد متابعة دروس السكريتاريا. احب ان اعمل في مكتب.

كانت المرأة الغريبة تنظر اليها بامعان فقالت:

ـ في مكتب؟ صحيح؟ انت اذن لا تبحثين عن المجد.

قالت ماريا مبتسمة:

ـ لا، لا اعتقد.

ظلّت العجوز تنظر اليها بامعان ملحّ وتردد:

ـ في مكتب. يا للصدفة! ما رأيك لو اجد لك وظيفة، في مكتب بالطبع، اذ لا تحتاجين الى ثقافة محددة؟

سألتها الفتاة وقلبها يخفق بسرعة:

ـ وظيفة؟ في مكتب؟ صحيح؟ هل تستطيعين ذلك؟

ـ في الواقع اعرف صديقاً يبحث عن فتاة شابة جميلة لتعمل في تنظيم الحسابات. انه عمل سهل والراتب جيّد. انه عمل للمستقبل. هذا بالضبط ما يلزمك!

دهشت ماريا وقالت:

ـ لا اعرف كيف اشكرك على هذا.

ابتسمت المرأة العجوز وقالت:

ـ ارجوك، لا شكر على واجب. الآن اعطني عنوانك وأنا سأهتم بالامر. . .

فجأة انبثق ظلّ امامها. فوجئت ماريا ورفعت رأسها.

كان القادم شرطياً. فقال بصوت قوي:

ـ ماذا يا بياتريس، اما زلت توهمين الناس؟

نهضت المرأة بسرعة وقالت بطريقة متعجرفة:

ـ لا اعرف عماذا تتكلم، يا سيدي الشرطي. كنت جالسة بهدوء اتحدث مع الآنسة.

سأل الشرطي ماريا:

ـ هل هذا صحيح، يا آنسة؟ الم تكن تعرض عليك وظيفة ما؟

ثم وجّه حديثه الى بياتريس قائلا:

ـ اه، يا بياتريس، لقد وعدتني بصراحة. . .

ـ لم افعل شيئاً. هل قالت لك الفتاة اني عرضت عليها وظيفة؟

قال الشرطي:

ـ ليست في حاجة لقول شيء، فهذا ظاهر في عينيها.

ـ اذن، هل توقفني؟

ـ هذا يتعلّق بـ. . .

ـ بماذا؟

ـ بنوع العمل الذي كنت تعرضينه عليها!

كانت ماريا مضطربة ومحتارة. ماذا يجري؟ لماذا يسأل الشرطي

كل هذه الاسئلة؟ ماذا فعلت هذه المرأة العجوز؟

قال الشرطي وهو يلتفت نحو ماريا:

ـ اذن، يا آنسة، ماذا قالت لك هذه المرأة؟

نظرت ماريا الى الشرطي، ثم الى العجوز. غاب كل اثر للرفق وحسن النوايا عن وجه المرأة. وكانت تبدو خائفة. فلم ترد ماريا ان تتدخل في شؤونها فأجابت:

ـ لا اعرف. لا اعرف شيئاً.

قال الشرطي بقسوة:

ـ حظك كبير، يا بياتريس!

واصرّت العجوز على القول بالحاح:

ـ لم افعل شيئاً. هل بامكاني الذهاب، الآن؟

ـ لو اشتكت عليك، لكانت نهايتك في السجن. الآن، اذهبي من هنا.

اختفت المرأة بسرعة. وراح الشرطي ينظر الى ماريا بنظرات قلقة. ثم سألها:

ـ في اي منطقة تسكنين؟

ـ في كينسينغتون.

ـ وماذا تفعلين في هذه الحديقة؟

ـ اني... لقد امضيت فترة بعد الظهر في زيارة المدينة وأنا ارتاح الآن.

ـ هل انت وحدك؟

ـ نعم.

ـ اين أهلك؟

ـ والداي لا يعيشان في انكلترا.

سألها الشرطي وهو يهز رأسه بعطف وشفقة:

ـ هل تعيشين هنا وحدك؟

ـ كلا. اعيش في منزل ابن زوجة والدي.

ـ في كينسينغتون؟

ـ نعم. انه طبيب.

ـ ويدعك تخرجين وحدك، هكذا، وتتعرضين لكل انواع المواقف الصعبة؟

ـ لا افهم. كنت جالسة بهدوء على المقعد بغية الارتياح عندما جلست هذه المرأة قربي وراحت تحدثني. تبدو امرأة لطيفة!

قال الشرطي بشفقة:

ـ نعم بالفعل، بياتريس بامكانها ان تكون لطيفة جداً. الى ان تنجح في اقناعك بأنك تضيعين وقتك في كسب معيشتك بصورة صادقة وشريفة!

قالت ماريا بصوت مرتجف:

ـ كيف؟ لا افهم.

تنفس الصعداء ثم قال:

ـ الا تفهمين؟ في سنك؟ هل ما زلت تؤمنين ان الاولاد يولدون من الملفوف!؟

همست تقول من دون تصديق:

ـ ماذا؟ هل تعني ان...

وضعت يداً على فمها وشعرت بانزعاج فأصرّ الشرطي في صوت مغيظ:

ـ نعم يا آنسة. لو كنت مكانك، لأخذت الباص او الميترو الآن وعدت الى منزلي في الحال. واريدك ان تعديني الا تتكلمي مع الغرباء في الحدائق العامة.

كانت ماريا مغتاظة ومرتعبة. لم تكن ترغب الاّ في شيء واحد: العودة الى منزل آدم. شكرت الشرطي وخرجت من الحديقة راكضة. وفي الشارع وجدت سيارة اجرة بسهولة وأعطت السائق العنوان وجلست في المقعد الخلفي، خائفة، متقوقعة في الزاوية. أخيراً اوصلها السائق امام المنزل. دفعت له اجرته وخرجت من

السيارة مسرعة وصعدت السلالم وهي تتعثر بقدميها الخائرتين. انفتح الباب بقوة وكادت ان تقع بين ذراعي آدم.

فقال هذا الاخير بغضب:

ـ يا الهي، اين كنت؟

ولما رأى وجهها الشاحب الخائف، ادخلها الى البيت من دون تأنيب ثم صفق الباب. وظلّت ماريا ترتجف خوفاً، الى ان امرها وهو يتوجه الى الصالون الصغير:

ـ تعالي الى هنا.

وضع ماء الزهر في قدح وقدمه لها قائلا:

ـ هيّا، اشربي. انت شاحبة اللون!

اطاعت ماريا من دون نفور. سعلت قليلا لكنها شعرت بتحسن وتلوّن خداها فسألها آدم قائلا:

ـ والآن؟ هل انت مستعدة لتشرحي لي ما حدث لك؟

ـ هل... هل كنت قلقاً عليّ؟

ـ قاربت الساعة الثامنة. الم تلاحظي ذلك؟ وتجرؤين على سؤالي ما اذا كنت قلقاً؟

ـ لقد... لقد زرت المدينة. لم... لم اكن اعرف انك ستلاحظ غيابي.

قال بشدة وقسوة:

ـ الى ماذا تنوهين؟

ـ لا شيء... لا شيء، لكن... كنت اعتقد انك موجود في العمل.

قال غاضباً:

ـ انت مصرّة على ازعاجي ومضايقتي! تريدين الانتقام لأني كنت قاسياً بعض الشيء معك! في كل حال، انها غلطتك!

صرخت ماريا ناقمة:

ـ لا! ابداً!

ـ اذن تعتبريني رجلا احمق، اليس كذلك؟ تختفين لمدة ست ساعات وتريدين ان استقبلك بذراعين مفتوحتين؟ نحن في لندن، يا ماريا ولسنا في كيلكارني! المدينة الكبيرة تخفي اخطاراً كثيرة لفتاة عديمة التجربة. هل هذا صعب عليك ان تفهميه؟

ادارت ماريا وجهها وهي ترتجف، وذلك كي تخفي دموعها. لكنها لم تقدر ان تسيطر على نفسها. وبغيظ، ادارها آدم صوبه ورأى الدموع تنهمر على خدي الفتاة. فتركها تطلق زفرة ثم قال بصوت متبدل:

ـ المعذرة، يا ماريا. انا آسف. لقد تصرّفت كانسان فظ. نعم، لكني كدت أجن من الخوف.

قالت بحزن كبير:

ـ امضيت نهاراً شنيعاً! اولا غضبك في الصباح، ثم الحديث مع لورين غريفيتس، واخيراً... اخيراً...

سألها مقطب الحاجبين:

ـ واخيراً ماذا؟

ـ كنت... كنت في حديقة الهايد بارك عندما كلمتني امرأة بلطف وطرحت علي الاسئلة. كانت تبدو لي مؤنسة وخفيفة الروح. لكن وصل شرطي وقال لي ان... انها...

تلعثمت واضطربت ولم تكن تجد الكلمات المناسبة.

فتمتم آدم قائلا:

ـ فهمت! يا الهي! هل فقدت عقلك، يا ماريا؟

نشجت الفتاة ومسحت وجنتيها وهمست تقول:

ـ لا، لا اعتقد.

ـ آه، ماريا! ماذا سأفعل بك؟

ابعد آدم خصلة شعر عن عيني الفتاة وقال:

ـ انها غلطتي انا أيضاً. فلم أحاول ان افهم منك السبب الذي من اجله جئت الى هنا.

- لم اكن اريد ان اضايقك، يا آدم. كنا نعتقد، والدتك وانا، ان وجودي سيسعدك.

- لست مندهشاً ان تكون امي سبب كل هذا. لكني مندهش كيف ان والدك وافق.

- والدي يحبك كثيراً ويثق بك! ويعتقد اني سأكون في امان معك.

- لكنكم جميعاً نسيتم عملي! فليس لدي الاّ قليل من الوقت الحرّ...

همست الفتاة بمرارة:

- الاّ مع لورين غريفيتس.

فقال بقسوة:

- لست انوي ان اناقش معك حياتي الخاصة. ولم اطلب منك رأيك. من الافضل أن نغير الحديث. هل أكلت؟

- شربت القهوة واخذت سندويشاً في حوالى الساعة السادسة.

- هل انت جائعة؟

- لا، ليس تماماً.

تأملها آدم قليلا باستسلام ثم قال:

- ذهبت السيدة لاسي لزيارة اختها. اذا اردت تناول العشاء يجب ان تكتفي بما يمكنني تحضيره بنفسي.

قالت ماريا بهدوء:

- انا اتقن فن الطبخ.

- في هذه الحال، ربما بامكانك ان تحضري لنا عشاء معقولا. فلم آكل انا أيضاً.

- وهل انت جائع؟

- لم أتناول غير صحن سلطة في الخامسة، لأن السيدة لاسي كانت مضطرة للذهاب باكراً. وبامكاني ان آخذ شيئاً الآن!

سألت ماريا في ابتسامة مسكينة:

- هل يروق لك حقاً ان احضر لك العشاء؟

- ولم لا؟

- هل... انت ذاهب الى اي مكان هذا المساء؟

تردد آدم ثم هزّ كتفيه وعلّق بجفاف:

- كلا. لا أظن.

وماريا أيضاً كانت تأمل بعنف الاّ يضطر للخروج.

بعد وقت غير قصير كانا يتناولان العشاء في المطبخ وقد اعدت ماريا عجة بالقريدس وبطاطا مقلية. لم تشعر ماريا بسعادة مثل الآن منذ مجيئها الى لندن. تحدثا مطولا واصغت الفتاة الى آدم وهو يقص عليها القصص المضحكة التي تحصل معه احياناً في المستشفى. ووعدت نفسها ان تنسى الاوقات القاسية التي امضتها وحيدة. كما وعدت نفسها ان تستفيد من كل لحظة من حياتها وتحاول الاّ تفكر ابداً... بلورين غريفيتس.

٤ - كلام رسمي

في صباح اليوم التالي نامت ماريا اكثر من عادتها. ولما فتحت عينيها كانت الشمس ساطعة في السماء. فتذكرت بفرح عشاء الأمس مع ادم وقفزت بسرعة من سريرها.

اغتسلت ولبست وهبطت السلالم. وفي المطبخ وجدت السيدة لاسي التي كانت تترنم باغنية يبثها المذياع. فاندهشت وسألتها:

- لقد استيقظت اخيراً؟ نبهني الطبيب الا اوقظك.
- صحيح؟

ظهر عبوس على وجهها وتساءلت في اعماقها ما الذي دفع آدم ان يقول شيئاً كهذا. لكن بما انها في مزاج مرح ومتألق، قالت بلطف:

- يا هذا النهار الرائع!

وافقت السيدة لاسي واخفضت صوت المذياع وقالت:

- انه نهار رائع حقاً. سأقدم لك فطور الصباح في الشرفة، ما رأيك؟

ابتسمت ماريا وقالت:

- في الشرفة؟ بكل سرور. لكني لن آخذ الا فنجان قهوة.
- كما تريدين.

وضعت المربية الماء ليغلي، ففتحت ماريا باب المطبخ المطل على الحديقة وخرجت. كان الهدوء مدهشاً. وهذا لا يصدقه العقل ان تكون في قلب العاصمة اللندنية ومحاطة بالخضار الكثيف والجو الهادىء.

وبعدما احتست الفتاة القهوة عادت الى المطبخ، وسألت المربية:

- ماذا بامكاني ان افعل اليوم؟ هل ترك لي ادم تعليمات معك؟ اخيراً... لقد مضى على وجودي هنا يومان، ولست معتادة ان اعيش حياة هكذا واكون عاطلة عن العمل. في ايرلندا كان هناك دائماً ما افعله!

نظرت اليها السيدة لاسي بنظرة عابسة وقالت:

- في الحقيقة، يا آنسة، لم يقل لي الطبيب شيئاً. لكنه حذرني الا ادعك تخرجين وحدك.
- آه! صحيح؟
- نعم، يا آنسة. امس امضى ساعات في حالة قلق رهيب، ومن الطبيعي ان...

ظهر مزاج ماريا الايرلندي وراحت تغلي غضباً ثم قالت:

- ما حصل امس بامكانه ان يحصل مع اي كان. ماذا كان بامكانك فعله، يا سيدة لاسي، اذا حدثك احد في الهايد بارك؟
- هل هذا ما حدث معك، يا آنسة؟
- الست على علم بالأمر؟
- لست على علم بأي شيء، يا آنسة. قال لي الطبيب انك

تعرضت الى اتفه الناس في لندن من بؤساء المجتمع. وانه ليس من عادتك التجول في المدن الكبرى.

قالت ماريا باستغراب وهي تهز رأسها:

- دابلن، ليست قرية، كما تعرفين!

احنت السيدة لاسي رأسها فلم تكن بحاجة الى العراك مع ماريا فأجابت بتهذيب:

- كلا، يا آنسة.

- ماذا سأفعل اليوم؟ ماذا ينتظر مني؟ سيأتي الى الغداء اليوم؟

- لم يقل لي شيئاً، يا آنسة.

- في هذه الحال، قررت ان آخذ حمام شمس، ما دام الطقس جميلاً.

ساخطة كانت ماريا عندما صعدت الى غرفتها. كانت فعلاً في اوج غضبها ونقمتها. وشعرت بنفسها انها عديمة المسؤولية، طفلة لا جدوى منها، هي التي كانت سعيدة في الصباح عندما استيقظت من نومها! اذن، العشاء بالامس، ما كانت غايته بالضبط؟ محاولة لتهدئة اعصابها لا اكثر ولا اقل! هل احب رفقتها حقيقة؟ لم تكن متأكدة من هذا الأمر. ربما شعر بالذنب لأنه لم يهتم بها... ربما شعر بالقلق لغيابها وتأخرها... في نهاية الأمر، فهو المسؤول عنها لدى والديها! كما ان آدم يعتقد بأنها فتاة شقية، لكنه مخطىء كلياً! فلم تأت الى لندن لتعامل بقسوة اكثر مما كانت عليه في كيلكارني! عليها اذن ان تسجل بأسرع ما يمكن في مدرسة السكريتاريا وبالتالي تأخذ استقلاليتها. وقررت ان تفتح هذا الموضوع مع آدم وقت الغداء.

فتحت الفتاة دولاب خزانتها واخرجت منه بزة السباحة المؤلفة من قطعتين وراحت تتأملها بعين ناقدة. اشترتها جيرالدين من اكبر محل هناك واهدتها اياها. وضحكتا معاً لأن ماريا كانت تعرف تماماً ان والدها لن يسمح لها بارتدائها في كيلكارني! فوضعتها ماريا في حقيبتها بينما كانت تغادر المنزل. وربما انها كانت تشعر اليوم بمزاج

عدواني، قررت ان ترتديها كي تؤكد حريتها واستقلاليتها.

ولما اجتازت ماريا المطبخ لتخرج منه الى الحديقة، شاهدتها السيدة لاسي وفتحت عينيها تعجباً وصدمت امام منظرها وقالت:

- آنسة ماريا! ماذا تفعلين؟

تظاهرت ماريا بالبراءة وقالت:

- ماذا تعنين، يا سيدة لاسي؟ الا تحبين بزة السباحة هذه؟

تنهدت السيدة لاسي وقالت:

- انها جميلة جداً، يا آنسة، لكن هذا ليس جائزاً او معقولاً داخل الشرفة.

- هل تعتقدين ان هذا سيزعج الجيران؟

مسحت المربية يديها بمريولها وقالت:

- ليس هذا ما كنت اريد قوله، يا آنسة، انت تفهمينني جيداً. بعد الذي حدث امس، اعتقدت...

- آه صحيح؟ وماذا اعتقدت، بالضبط؟ انني فتاة بريئة؟

- آنسة ماريا، هنا منزل طبيب. ماذا سيقول السيد آدم؟

هزت ماريا حاجبيها وقالت:

- هل تعتقدين انه لن يحب بزة السباحة هذه؟

- انت تعرفين جيداً انه لن يحبها.

اجابت ماريا منتصرة وهي تتجه باناقة الى الشرفة:

- اذن، تباً له ولأفكاره!

رأتها السيدة لاسي تبتعد وراحت تضطرب قلقاً. فهي مقتنعة الآن ان السيد آدم قد تورط في مهمة مستحيلة.

رن الجرس فاستعدت السيدة لاسي لتفتح الباب عندما دخلت ماريا المطبخ وعيناها تلمعان سخرية. ثم قالت بلهجة وقحة:

- انني اراهن ان الطارق هو لورين غريفيتس!

لم تجرؤ على الجواب وتوجهت نحو الباب. انتظرت ماريا لحظة وسمعت صوت رجل، فخرجت في الحال الى الشرفة. يا للأسف،

لم يكن القادم لورين غريفيتس!

تمددت الفتاة بكسل على الكرسي الطويل معرضة جسمها لأشعة الشمس القوية. ثم اغمضت عينيها ووضعت نظارتين سوداوين على انفها.

اقتربت الاصوات، ففتحت عينيها بفضول. ثم القت نظرة الى الجهة الاخرى من الاعشاب المتسلقة التي تحميها من نظرات الناس الوقحة فشاهدت وصول السيدة لاسي ويرافقها رجل شاب. ازاحت ماريا نظارتيها لترى جيداً.

الرجل الشاب كان شديد الجاذبية. كان شعره اسود اللون، مجعداً، وعضلات جسمه بارزة. كان يرتدي قميصاً مقلمة وربطة عنق متناسقة مع سرواله الضيق. كان يبدو هادئاً ومسترخياً واخذ ينظر الى ماريا بامعان واهتمام.

القت المربية نظرة لوم الى ماريا وقالت:

- اقدم لك السيد لاري هادلي، يا آنسة. انه ابن احد شركاء السيد آدم.

نظرت ماريا الى الشاب مبتسمة وانتصبت قليلاً وقالت بلطف:

- صباح الخير. هل تريد رؤية آدم؟

اجابها لاري هادلي وهو يهز رأسه:

- كلا. اني... اوه... ذهبت لرؤية والدي في المستوصف صباح اليوم حيث التقيت بآدم واخبرني عنك. وفهمت منه انك تشعرين بالوحدة. لذلك قررت المجيء لزيارتك و... لأقدم لك خدماتي.

رمقت الفتاة السيدة لاسي بنظرة سريعة وقالت:

- هذا لطف منك... ارجوك اجلس هنا.

ثم وجهت حديثها الى السيدة لاسي قائلة:

- سيدة لاسي، من فضلك احضري لنا القهوة.

قالت المربية مغتنمة فرصة وجود الشاب:

- الا تريدين ارتداء ملابسك، يا آنسة؟

هزت ماريا كتفيها وقالت:

- بعد قليل، يا سيدة لاسي.

ترددت المربية قبل التوجه الى المطبخ. ونصحت ماريا الرحل قائلة:

- ما رأيك لو تدخل الى المرآب وتأتي بكرسي طويل. لا تقلق، فالسيدة لاسي لا تلومك على مجيئك. انما هي غير راضية على ارتدائي بزة السباحة هذه. فهي لا تستحسن النظر الي بهذا المنظار.

ابتسم لاري هادلي بدوره. تناول كرسياً وجلس قبالة الفتاة وقال:

- الظاهر انك تنوين الدخول الى مدرسة السكريتاريا.

- لم آخذ القرار النهائي حتى الآن.

- لم اكن على علم ان آدم لديه شقيقة. ليس قبل صباح اليوم.

- انا ابنة زوج والدته. والدته تزوجت من والدي.

- اذكر الآن... هذا حصل قبل ان يشترك آدم مع والدي في المستوصف. لقد نسيت كلياً.

كانت ماريا تنظر الى الشاب بفضول، ثم سألته:

- وانت، ماذا تفعل في حياتك؟ هل تريد ان تصبح طبيباً؟

- لا، ابداً، مهنة الطب استعباد وهلاك! انهيت لتوي دراستي في كامبريدج، لكني لم اعثر بعد على ما اريد فعله في حياتي.

فكرت ماريا لحظة ثم سألته:

- اذن، انت لا تعمل شيئاً في الوقت الحاضر.

- صحيح. لست من نوع الرجال الذي يحبون العمل باجتهاد، غير اني سأجد عملاً يوماً ما. لكني افضل الحياة التي اعيشها في الوقت الحاضر، اني استفيد من الحياة بهدوء وهذا يكفيني.

- نظرياً، ربما. لكن بالفعل، هذا ممل، الا تعتقد ذلك؟ انا، اريد العمل. لا احب ان ابقى من دون عمل.

تثاءب لاري بلامبالاة وقال مستغرباً:

- امل الا تكوني واحدة من اللواتي يحبذن تحرير المرأة؟

- ليس تماماً. غير ان النساء لبين لمدة طويلة متطلبات الرجال، بينما هن ذكيات وقادرات مثلهم.

- اذا كن جيلات، فلا اجد هناك اي مانع او اعتراض.

ابتسمت ماريا. وصلت السيدة لاسي حاملة صينية القهوة، وسألتهما اذا كانا يريدان شيئاً آخر من دون ان تقوم بأي تعليق. ومن جهتها كانت ماريا لا تريد ازعاج المربية او مضايقتها.

امضيا صباحاً رائعاً، يحتسيان القهوة ويتحدثان عن امور كثيرة. الى ان اعلن هدير المحرك وصول آدم الى الغداء، مما وضع نهاية لمحادثتهما.

نهض لاري وقال وهو يسرح شعره بيده:

- لا اعتقد ان آدم قد خطط شيئاً لي للسهرة.

- برافو! هذا افضل! والآن سأتركك...

كان الشاب ما يزال يتكلم عندما دخل آدم الى الشرفة. كان يبدو غاضباً فحيّا لاري باختصار ثم رمق ماريا بنظرة عدائية.

لكن ماريا ظلت جامدة مكانها. في كل حال، اذا لم يكن يريد ان يرى لاري معها، فما كان يجب ان يرسله الى هنا.

سألته:

- هل الأمور على ما يرام؟ كان لاري على وشك الذهاب.

اوصلت الشاب الى الممر الخارجي فقال آدم:

- الى اللقاء، يا لاري.

ابتسم لاري. ثم قال للفتاة:

- سأجيء في الساعة السابعة. هل اتفقنا؟

- نعم. اتفقنا.

توجه الرجل الى سيارته. ولما عادت ماريا الى الحديقة كان ما زال آدم واقفاً هناك واضعاً يديه في جيبي سرواله. رمقها بنظرة اشمئزاز،

فقالت ماريا في الحال:

- سأبدل ثيابي استعداداً للغداء.

اقترب آدم منها وقال:

- لحظة من فضلك. يا ماريا. اريد ان اكلمك. الآن!

كان صوته مليئاً بنبرة تهديد. ترددت ماريا ثم قالت:

- الا يمكنني ان اغير ملابسي قبل ان تكلمني، يا آدم؟

- كلا!

اخرج سيكاراً صغيراً من علبته واشعله ثم سحب نفساً عميقاً وتابع يقول وهو يشير الى بزتها:

- هل يعرف والدك انك ترتدين هذا النوع من... من الملابس؟

شعرت ماريا بالاحمرار يصعد الى وجهها فوضعت النظارتين على عينيها قصداً، حتى لا يتمكن من معرفة تعبير وجهها ثم اجابت في تحد:

- نعم، انه على علم بذلك.

يا لشرودها! لماذا لم تفكر في احضار مئزر الحمام معها؟ قال آدم:

- الأمر يدهشني. في كل حال، لن يسمح لك والدك ابداً ان ترتديه خارج شاطىء البحر!

- هذا كل ما عندك لتقوله لي؟

- كلا. انزعي عنك هاتين النظارتين الكريهتين!

احتدت المعركة. خلعت ماريا نظارتيها وحاولت المحافظة على هدوء اعصابها. لن تكون له الكلمة الاخيرة! واذا اراد ان يتصرف معها بتسلط ستعرف ان تدافع عن نفسها.

راح آدم يتفحص سيكاره بامعان ثم سألها بقسوة:

- ماذا كان يفعل هذا الغرّ هنا؟

- الغرّ؟ تقصد لاري؟

- كم من رجل استقبلت وانت بهذه البزة؟

لم تعد ماريا قادرة ان تحافظ على برودة اعصابها. فضغطت على

معصميها وقالت بسخرية:

- الست انت من ارسلته الى هنا؟ ما كان يجب عليك ان تطرح هذا السؤال.

اجاب بغضب:

- انا؟ لم ارسله! هل هذا ما قاله لك؟

وضعت ماريا يدها على صدغها بمحاولة التفكير ثم اجابت:

- لم . . . ربما لم يقل مثل هذا الكلام، لكن. . . لكنه كان يعني ذلك.

- صحيح!

- نعم، صحيح! ليس من عادتي ان اكذب!

- ماذا تقصدين؟

احمرت وجنتا الفتاة وقالت بصراحة:

- لا شيء! غير ان اللعبة موجودة ويبدو انك مضطلع بالامر!

- اه، صحيح! ومن هو الانسان الذي اخدعه، من فضلك؟

- حسناً. . . اولاً. . . والدتك. . .

هز آدم رأسه وقطب حاجبيه وقال:

- وكيف خدعت امي بالضبط؟

- لا علم لها بخصوص خطوبتك. انت قلت لي هذا الكلام.

اطلق آدم شتيمة غيظ وقال:

- يا الهي! انها على علم بارتباطي مع لورين! لكنها تفضل عدم الاكتراث بالامر!

قالت الفتاة وهي تضغط على معصمها:

- اني افهم تصرفها الكتوم!

امسك آدم بمعصميها وسألها:

- ماذا تعنين؟

- لا شيء.

احمرت ماريا من جديد، فقال وهو يدفعها بعيداً:

- سبق وقلت لك، يا ماريا، لم اسألك رأيك. لا تحاولي تبرير تصرفك باتهامي.

اطلقت ماريا زفرة وقالت:

- لا اتهم احداً. لكن سئمت ان يعاملني الآخرون بهذه الطريقة! صحيح ان والدي لا يعطيني الحرية بكاملها، لكنه يعاملني على الاقل كأنني ناضجة وليس كأنني فتاة صغيرة. اعتقدت امس انك رجل تتحلى بروح الانسانية. . . لكنني انخدعت مرة اخرى.

- الحرية! الحرية! ما ان تعطى لك الحرية، حتى نجدك مع اشخاص اشقياء. كأمس، مثلاً.

رفع خصلة شعره التي تنسدل على جبينه كالعادة ثم تابع يقول:

- فتاة في الثانية من عمرها تتصرف بطريقة اذكى بكثير منك.

- كيف. . . كيف تتجرأ وتكلمني بهذه اللهجة؟ لو تعرف والدتك. . .

قاطعها آدم واكمل بخبث:

- لو تعرف والدتي، كنت الآن في الطائرة عائدة الى حقول البطاطا!

- يا لك من انسان. . . فظ وبذيء!

ومن دون وعي، وفي حالة غضب شديد، مدت ماريا يدها وصفعته.

ابتعد آدم مندهشاً. فاغتنمت ماريا هذه الفرصة وركضت بسرعة الى غرفتها، ثم ارتمت على السرير وراحت تجهش بالبكاء اليائس.

بعد ساعة، كان ما زال رأسها غارقاً في الوسادة، عندما دق الباب، فصرخت الفتاة بصوت مخنوق:

- اذهب من هنا، لا اريد رؤية احد!

انفتح الباب ودخلت السيدة لاسي حاملة بيدها صينية وقالت:

- ماذا هناك؟ ستمرضين اذا استمريت في البكاء على هذا المنوال! جئت ببعض الطعام، هيا، ستشعرين بتحسن اذا اكلت.

اجابت ماريا غاضبة ومستاءة:

- لست بحاجة الى شيء.

وضعت المربية يدها على كتف الفتاة وقالت بلطف:

- هيا، يا ابنتي. ستتورم عيناك. لا تنسي انك مدعوة الى العشاء، في المساء!

شهقت ماريا وجلست مكرهة وقالت:

- آه، يا سيدة لاسي! لقد صفعته! لقد صفعت آدم!

- تقولين هذا كأن الأمر لا يمكن ملاحظته. يجب ان تري خده! اما بالنسبة الى مزاجه، فأسوأ بكثير!

- لن يسامحني ابداً! لا افهم لماذا فعلت ذلك! كنت اتفق معه تماماً في الماضي، عندما كان يأتي لزيارتنا في ايرلندا. صحيح اني كنت عديمة الصبر، لكن ما كان يجب ان. . .

تنهدت الفتاة بعمق واضافت:

- لا اعرف ماذا جرى؟ كنت دائماً اعتبر آدم مثل اخي الكبير، لذلك اعتقدت انه سيسر لمجيئي. . . لكن بالعكس، ليس مسروراً ابداً!

- لا تحكمي عليه يا ماريا بهذه السهولة. معرفتك به خاطئة. انه الرجل الأكثر تفهماً في العالم. مرضاه يؤكدون لك ذلك!

قالت ماريا بحزن:

- ربما يجب ان اكون احدى مرضاه!

ثم القت نظرة خائفة الى الباب وسألت:

- اين هو الآن؟

- يدرس في المستشفى، بعد الظهر.

- ووجهه. . . كيف هو وجهه؟

- لا تقلقي على وجهه، سيجد عذراً مقنعاً! لكن قولي لي، ما الذي دفعك الى ارتداء بزة السباحة هذه؟

- اردت ان ابرهن انني حرة مستقلة. في كل حال ليست بزة

السباحة هي التي اغضبته، انما مجيء لاري هادلي.

وافقت السيدة لاسي وقالت:

- نعم. اني اتساءل اذا كان آدم هو الذي طلب من الشاب ان يزورك.

- لكن لماذا؟ لا افهم. انه لطيف هذا الشاب!

رفعت المربية حاجبيها وقالت:

- هذا موضوع آخر. وليس من واجبي ان اتدخل بالأمر. يبدو انه لطيف كما قلت. هل ما زلت تنوين الخروج معه، في المساء؟

- نعم، لقد اتفقنا على هذا معاً. هل يعرف آدم بهذه الدعوة؟

- لا اعرف. في كل حال، سترينه قبل خروجك.

غير ان ماريا لم يتسن لها رؤية آدم، لأنه اتصل هاتفياً بالسيدة لاسي في الرابعة والنصف ليعلمها بأنه متوجه لتوه الى المستوصف. ولم يسألها عن ماريا ولم يطلب منها ان يكلمها. ولم تكن ماريا تعرف اذا كان يجب عليها ان تتصل بلاري لتؤجل الموعد الى نهار آخر، ام لا.

وبرغم ترددها، قررت اخيراً الخروج. فلم تكن ترغب ان تمضي السهرة وحيدة.

استحمت ثم ارتدت فستاناً طويلاً من المخمل العنبري اللون مظهراً شعرها الكستنائي. فلم تكن بحاجة الى ارتداء معطف لأن الطقس كان دافئاً. لكنها وضعت على كتفيها شالاً من الصوف البني.

وصل لاري في الساعة المحددة واوقف سيارته امام مدخل البيت. اوصلت السيدة لاسي الفتاة حتى الباب وتمنت لها سهرة جميلة، ولم تكن قلقة عليها ابداً.

كان لاري متحمساً لرؤيتها. فمدحها على اناقتها. وتوجها معاً الى المطعم الذي حدثها عنه في الصباح واكلا شرائح اللحم الطرية والسلطة والبطاطا المقلية والخضار المسلوقة. ثم رقصا على الحان

الاوركسترا الصغيرة. واظهر لاري عن رفقة رائعة ومسلية، ومرحت ماريا الى درجة ان توصلت الى ابعاد افكارها القاتمة ونسيت مشاجرتها مع آدم.

طلبت الفتاة من لاري ان يوصلها الى المنزل باكراً رغم انه كان يحب اطالة السهرة، لكن ماريا لا تريد أن تجعل لآدم حجة كي يشكو منها او يتذمر.

كانت الساعة الحادية عشرة والنصف عندما وصلت ماريا الى المنزل. دخلته باضطراب وقلق. لكن لم يسمعها احد. ووجدت كلمة مكتوبة على ورقة وموضوعة على المدفأة في الصالون الصغير. ولما قرأت ماريا محتواها، عرفت انها موجهة الى آدم. وادركت ان آدم لم يعد بعد، وربما لم يعرف بخروجها.

وبخيبة امل، صعدت الفتاة الى الغرفة وارتمت على السرير.

أفاقت ماريا باكراً في صباح اليوم التالي كي تتمكن من التحدث الى آدم قبل ذهابه الى المستوصف. وتعهدت باختيار ملابس محتشمة حتى تتحاشى ازعاجه.

وقبل الثامنة بقليل، كانت ماريا مرتدية تنورة بيضاء متموجة وقميصا حمراء، وجالسة في غرفة الطعام تقرأ جريدة الصباح. عندما دخل آدم.

رفعت الفتاة عيناها بتأن ولاحظت ان آدم جذاب بصورة خاصة هذا الصباح. كان يرتدي بزة غامقة وربطة عنق قمحية اللون وقميصاً نبيذية. فوجيء الطبيب الشاب برؤية ماريا، لكنه جلس امام الطاولة مواجهة لها من دون ان يتلفظ بكلمة واحدة، حتى لم يتنازل برد تحية الصباح التي اطلقتها بصوت مخنوق.

تنهدت ماريا ووضعت الصحيفة على الطاولة وقالت في صوت حاد ومتوتر:

ـ يجب ان احدثك، يا آدم.

كان آدم يستعد لأخذ الصحيفة، فقطب حاجبيه وقال:

ـ آه، صحيح؟

كانت ماريا تفتل يديها بعصبية تحت الطاولة. لم يعد هناك اثر على خد آدم للصفعة العنيفة التي تلقاها امس، لكنه لا شك ما زال يتذكرها! كانت ملامحه باردة كأنها امام رجل غريب، وهذا لا يسهل عليها مهمتها! راحت تبحث عن الكلمات اللازمة ولم تكن تعرف من اين تبدأ. رمقها آدم بنظرة ثاقبة وتناول الجريدة وراح يقرأ العناوين.

دخلت السيدة لاسي حاملة الفطور. شكرها الطبيب وبدأ يأكل. ولم تتناول ماريا الا الخبز المحمص، كالعادة. وضعت المربية ركوة القهوة على الطاولة قرب الفتاة. فقالت عندما خرجت السيدة لاسي متوجهة الى المطبخ:

ـ هل تأخذ الحليب والسكر؟

اجابها آدم ببرود:

ـ السكر فقط، من فضلك.

وضعت ماريا قطعتي سكر في فنجانه وقدمته له فأخذه بسرعة واكمل القراءة. فقالت ماريا غاضبة:

ـ من اجل السماء! اليس عندك شيء تقوله؟

ـ انت من اراد التحدث الي؟

تنهدت الفتاة وقالت:

ـ نعم... في ما يخص حادثة الأمس...

ـ من الافضل ان تنساها.

ـ انت لم تنس بعد؟ آه آدم، لا يمكننا الاستمرار في العراك على هذا النحو!

ـ انا على اتفاق تام معك.

ـ هل هذا يعني، انه يجب... ان ارحل من هنا؟

هز آدم كتفيه وقال ساخراً:

ـ لست متفائلاً حول هذه النقطة.

كانت على وشك النطق بتعليق فظ، لكنها تمالكت وقالت:
- اذن، هل تسمح لي ان ابقى واتابع هذه الدروس؟
- ليس لدي اي اختيار.
هزت الفتاة رأسها بغضب وقالت:
- ارجوك، لا تكلمني بهذه اللهجة، يا آدم! انت صاحب الكلمة الاخيرة، وانت تعرف ذلك. يكفي ان تكتب الى والدي وتخبره كل شيء، فسيعرض علي ان اعود في الحال الى ايرلندا، خاصة اذا كنت ستخبره بالحوادث حسب طريقتك الخاصة!
وضع الصحيفة جانباً وقال:
- تفعلين كل ما في وسعك لتضايقيني، يا ماريا.
صرخت بغيظ:
- ابداً! هذا غير صحيح.
- اذن، لماذا ارتديت بزة السباحة امس؟
احنت ماريا رأسها وقالت:
- لا اعرف. لم يسبق ان ارتديتها من قبل واعتقدت بما ان الفرصة سانحة ستكون فكرة جيدة في هذا النهار المشمس والدافىء.
اطلق آدم شتيمة ورمقته الفتاة بنظرة متحفظة وحذرة، فقال:
- انت فتاة ساذجة!
قالت ماريا بنبرة ثائرة:
- اني اكيدة انك لن تتصرف على هذا النحو، لو كانت لورين غريفيتس هي التي كانت ترتدي هذه البزة!
اجابها بقسوة:
- لن اتوقف امام هذه الملاحظة، يا ماريا.
- هل ستعيدني الى كيلكارني؟
هز آدم كتفيه وقال:
- وماذا يزعجك في كيلكارني؟
- لو تعرف كم الجو ريفي هناك! يعجز وصفه! الجو خانق! الناس

تتزوج وتلد اطفالاً، فقط لا غير.
رمقها آدم بنظرة ساخرة وقال:
- مثل اي بلد في العالم!
- لكن، هذا قليل جداً بالنسبة الي، شكراً!
- لنكن جديين، يا ماريا. قولي الحقيقة. لماذا لا تريدين العودة الى كيلكارني؟
- قرر والدي ان يزوجني.
قطب آدم حاجبيه وقال:
- اذا فهمت جيداً، فهو قد تدبر لك عريساً، على ما اعتقد.
- نعم. ويدعى ماثيو هورلي.
- هذا الاسم يذكرني بأحد ما. اليس هو المزارع الذي يملك ارضاً تقع مباشرة قرب ارض والدك؟ اني اتذكره بغموض، اذ قدمه والدك الي مرة.
احنت ماريا رأسها وقالت:
- ما تقوله صحيح. انه والد ماثيو. الوالد توفي منذ سنتين واورث المزرعة لأبنه.
- آه، لقد فهمت! اذا تزوجت من ماثيو هورلي، يصبح بامكان والدك مراقبة العقارين.
- شيء من هذا.
- كيف توصلت الى اقناعه بالمجيء الى انكلترا؟
- ليس انا من اقنعه، بل والدتك جيرالدين. بالنسبة اليها، من السوء ان تتزوج فتاة شابة من رجل بالكاد تعرفه. تقول اني بحاجة الى بعض الوقت من التفكير قبل ان آخذ القرار بهذا الصدد. كما اضافت انه اذا حصلت على شهادة معينة، سأستفيد من الوضع ولن امضي معظم حياتي في الاعتناء بالاطفال.
- هذه آراء امي تماماً، فهي لم تتغير. وفي الوقت نفسه فهي تسهر على مصالحها!

- لا اعرف شيئاً. او بالاحرى اعرف شيئاً واحداً: لا اريد العودة كي لا اضطر على الزواج من ماثيو.
- الا تحبينه؟
- كلا! انه شاب لطيف، لكني لا احبه!
هز آدم رأسه وقال بجفاف:
- لقد ادخلت والدتي في رأسك افكاراً رومنطيقية حول الحياة. الزواج والاهتمام بالأولاد، لا قبح في ذلك!
- لا افهم! اريد ان اتزوج! واريد ان انجب اولاداً. لكن مع الرجل الذي احب. وليس مع من يتقدم اولاً!.
هز آدم كتفيه. عادت السيدة لاسي حاملة البيض المقلي لادم. وبينما كان آدم يأكل البيض كانت ماريا تدهن الزبدة على الخبز المحمص وتضع مربى البرتقال. ولما انتهى آدم، قالت الفتاة بفارغ الصبر:
- ادم، هل تنوي الكتابة الى والدي؟
مد آدم فنجانه، فسكبت فيه القهوة وراحت تنتظر رده. فقال:
- هل تنوين التوقف عن التصرف مثل فتاة صغيرة شيطانة؟
- لن ارتدي هذه البزة بعد الآن.
- ليس الأمر متعلقاً بهذه البزة فحسب. انت تتصرفين مثل فتاة صغيرة كلما حاولت ان افرض عليك الطاعة. ربما كان والدك قاسياً معك في الماضي. تريدين استقلالك وحريتك، اتفقنا. لكن لا اقبل تصرفات غير مسؤولة. هل هذا واضح تماماً؟
نظرت ماريا الى صحنها وقالت لنفسها: هل هذا تهديد، لكن ليس لديها الاختيار. فهمست تقول:
- حسناً. سأفعل كل ما بوسعي.
مسح آدم فمه بالفوطة ونهض قائلاً:
- حسناً. علي ان اذهب الآن. بامكاني ان اسأل جانيت، سكرتيرتي ان تستعلم لك عن مدارس السكريتاريا. هل تريدين

ذلك؟
- طبعاً ما دمت موافقاً على بقائي.
- ماريا، قولي. هل تريدين متابعة هذه الدروس ام لا؟
- نعم... من دون شك.
خرج آدم ليخفي غيظه. ونظرت اليه ماريا وهو يخرج وشعرت بالخوف. ربما ربحت معركة. لكنها لم تربح الحرب! غير انها ما ان تبدأ بالدراسة حتى تأخذ الأمور شكلاً آخر.

٥- الرحلة الى الريف

اليوم سبت. مضى على وجود ماريا في انكلترا اسبوعاً كاملا.
وخلال فترة الصباح جاءتها مكالمة هاتفية من جانيت، سكرتيرة آدم تحدثت فيها حول المعلومات التي جمعتها فيما يختص بمدرسة السكرتاريا. وكان امام ماريا حلين، اما ان تسجل الآن في صف بدأت فيه الدراسة منذ أربعة اسابيع، او ان تبدأ في بداية السنة المدرسية مع بقية الطلاب وذلك بعد العطلة الصيفية.

شكرت ماريا السكرتيرة للجهد الذي بذلته في البحث عن هذه المعلومات. ثم راحت تفكّر: الاقتراح الثاني يعجبها اكثر، لكن آدم لن يكون موافقاً. سيقنعها بانه في امكانها البدء بالدراسة الآن، وبعد جهد اضافي من قبلها يمكنها التعويض عن الدروس الماضية.

تنهدت الفتاة وتوجهت الى المطبخ لتأخذ بنصيحة السيدة لاسي.
احتستا القهوة معاً وراحتا تتحدثان في الموضوع. فقد اعتادت ماريا ان تمضي من كل صباح ساعة او ساعتين برفقة المربية. بالكاد شاهدت آدم خلال اليومين الأخيرين، ما عدا في وقت تناول وجبات الطعام. كما انها لم تجرؤ على الذهاب ابعد من الشارع العام منذ حديثها الأخير. والآن فهي عصبية المزاج وتملّ بصورة مزعجة. فلا تسمح لها السيدة لاسي ان تنصرف الى تنظيف المنزل بينما يعتقد آدم انه لا يبدو ان الفتاة تهتم بشيء. هي التي كانت تحلم بزيارة المستوصف والتعرّف الى بعض مرضاه. لكن آدم مصرّ على منعها عن ذلك وعن مشاركة حياته المهنية.

اخذت الفتاة تستعير كتباً من المكتبة الموجودة في الصالون الصغير. كما كانت تصغي احياناً الى الاسطوانات التي لم تكن تعجبها لكنها انتهت الى استحسانها من كثرة الترداد.

هذا كلّه كاف لسد حاجيات الفتاة ولملء الوقت الطويل. ولم تكن ترغب في العودة الى ايرلندا بل كانت تنظر الى المستقبل بتفاؤل. فسيأتي يوم ويتحسّن وضعها، خاصة عندما تنصرف الى الدراسة.

لم تكن السيدة لاسي تعرف كيف تساعدها على حل مشكلتها. فاقترحت عليها قائلة:

- يجب عليك ان تستشيري السيد آدم في موضوع الدروس، يا آنسة.

احتجت ماريا وقالت:

- لكن، ليس عنده الوقت لذلك. ما ان نبدأ حديثاً، ما، الا ويرن الهاتف ويستدعى الى حالة طارئة!

اجابت السيدة لاسي بحكمة وهي تحرّك قهوتها:

- ليس عند الطبيب حياة خاصة. انه دائماً على استعداد لتلبية دعوات المرضى وخاصة في الحالات الطارئة.

وضعت الفتاة يدها على ذقنها وقالت:

- اعرف ذلك.
- وعليك ان تطمأني. فبعد الغداء، يكون آدم حراً طيلة عطلة نهاية الاسبوع. وسيأخذ مكانه طبيب آخر.
فوجئت ماريا بهذا الخبر وقالت:
- صحيح؟
- نعم، صحيح! هل تعتقدين ان بامكانه العمل ٢٤ ساعة يومياً، ٧ أيام في الاسبوع، من دون ان يستريح؟
تلألأت عينا ماريا فرحاً وقالت:
- لم افكر في الامر. هذا شيء رائع! بامكاننا اذن ان...
قاطعتها السيدة لاسي قائلة:
- لحظة... ربما السيد آدم مرتبط باشياء اخرى خارج العمل. لا تنسي ذلك يا آنسة.
اجابت الفتاة بجفاف وخيبة أمل:
- لورين غريفيتس، مثلاً.
رفعت السيدة لاسي كتفيها واجابت:
- هذه احدى نشاطاته.
- هل... يعرفها من وقت طويل؟
- الآنسة غريفيتس؟ من سنة ونصف او سنتين. لم اعد اعرف تماماً. لماذا؟
تظاهرت الفتاة باللامبالاة واجابت:
- من اجل الحشرية، فقط لا غير. هل... يحبها؟
- طبعاً، ما دام خطيبها!
- متى... متى سيتزوجان؟
نهضت المربية لتضع فنجانها الفارغ في المجلى واجابت:
- الله وحده عليم بهذه الامور! قبل ان يتم زواجهما ترغب لورين ان يترك عمله في المستوصف والمستشفى ليفتح عيادة خاصة في هارلي ستريت، حيث يذهب الاغنياء للمعالجة.

- وهل سيفعل ما تريده؟
رفعت السيدة لاسي كتفيها وقالت:
- من يدري. ليس هذا اسلوبه. لكنه اذا كان يحبها كفاية، سيفعل ما تريده، على ما اظن.
وراحت ماريا تفكر بآدم. بالرغم من قساوته وبالرغم من رأيها فيه، فهي تكنّ له اعجاباً كبيراً. لكنها كانت تشعر باضطراب وتشويس امام امكانية تركه عمله الحالي ليتمكّن من اعجاب ممثلة صغيرة سطحية. فهي تعرف جيداً لماذا لورين غريفيتس تراه جذاباً، لكنها تحاول ان تدمّر فيه المزايا الحلوة التي تجعله كذلك. وتخيّلت ماريا فجأة صورة للورين تضم آدم بين ذراعيها بامتلاك وتشدّه بحب وشغف. وامام هذه التخيّلات، غادرت ماريا بسرعة كرسيها وخرجت من المطبخ.
اتصل آدم هاتفياً في الساعة الحادية عشرة ليقول للسيدة لاسي الاّ تنتظره على الغداء. كانت ماريا خارجة من غرفتها وتهبط السلالم بعجلة عندما اقفلت المربية الخط. فقالت ماريا:
- ماذا، ألن يأتي الى الغداء؟
- لا.
- الى اين قال انه ذاهب؟ قلت لي انه سيكون حرّاً بعد الغداء!
- نعم، انه حرّ لا يعمل! لا شك انه يتناول الغداء برفقة لورين غريفيتس.
- آه! اوف...!
جلست ماريا على الدرجة الاخيرة من السلالم. فكانت قد حضّرت في ذهنها كل ما يجب قوله عندما يأتي الى الغداء. والآن وقد اخطر المربية انه غير آت...
اطلقت السيدة لاسي زفرة ونبهتها قائلة:
- هيّا، يا آنسة، ما بك؟ ان تصرّفك يدل عن حماقة حقيقية. لا يتمتع السيد آدم الاّ بوقت حرّ قصير ومن الطبيعي ان يبحث عن

نظرت اليها الفتاة بقنوط وقالت:

ـ وانا، الست بامرأة؟

ـ انت تفهمينني جيداً، يا آنسة.

ظهر على ماريا تعبير كئيب وقالت:

ـ نعم، طبعاً. آه، يا سيدة لاسي، ماذا سأفعل بنهاري؟

ـ أنا سأخرج مع اختي بعد الظهر. اني لا اعمل بعد ظهر السبت ولا حتى في المساء. سأذهب في البدء لزيارة السي شقيقتي، ثم نذهب معاً الى النادي ونلعب البينغو. ما رأيك لو تأخذين كتاباً من المكتبة وتجلسين لمطالعته في الحديقة، في فترة بعد الظهر؟ يعود السيد آدم دائماً في الخامسة ليبدّل ثيابه، مهما كانت مشاريعه للسهرة، وسيمكنك رؤيته حينئذ.

فكّرت ماريا لفترة، كانت تشعر باليأس وبعض الاحباط فتنهدت وقالت:

ـ حسناً! وحدي مرّة اخرى! يجب عليّ ان اتدبّر امري، كالعادة! لم يتصل بي لاري هادلي، هذا امر يدهشني، مع انه وعدني بذلك. هل اتصل بي، يا سيدة لاسي، عندما خرجت الى السوق؟

بدت المربية فجأة منزعجة وقالت وهي تدير وجهها:

ـ سأذهب الى المطبخ لأحضر الغداء. يجب ان نأكل حتى ولو كان السيد آدم غائباً.

نهضت ماريا مقطّبة الحاجبين وقالت:

ـ لم تردّي على سؤالي، يا سيدة لاسي. هل اتّصل بي احد، نعم ام لا؟ هل نسيت ان تخبريني بالامر؟

هزت المربية رأسها وقالت باذلة جهدها:

ـ كأنني على وشك فقدان الذاكرة، يا آنسة... والان، هل تعذرينني، فعليّ ان احضر الغداء...

حدّقت ماريا في عينيها وقالت بينما كانت السيدة لاسي تستعد

للذهاب الى المطبخ:

ـ لا! انتظري! لا تذهبي، يا سيدة لاسي. هل تقولين لي الحقيقة؟

اطلقت السيدة زفرة وهي تضغط مريولها بعصبية. ثم قالت:

ـ اذن، يا آنسة، ما دمت تصرّين على معرفة الحقيقة، طلب مني الطبيب ان اردّ على المكالمات الهاتفية وأقول بأنك غير موجودة اذا كان السيد هادلي هو المتكلم.

وقفت ماريا متذهلة وقالت:

ـ كيف يجرؤ على فعل شيء كهذا؟ لماذا؟ لأني خرجت معه ذلك المساء؟

هزت المربية راسها وقالت:

ـ كلا، يا آنسة، لم يعرف آدم ذلك.

صرخت ماريا:

ـ كيف؟ لكن بلى! انه يعرف ذلك بكل تأكيد.

ـ كلا، يا آنسة. تذكّري. لم يكن في المنزل عندما خرجت. وعدت قبله في المساء. وفي اليوم التالي، امرني الّا اخبرك باتصالات السيد هادلي الهاتفية. فلم اجرؤ ان اصرّح له انك خرجت مع هذا الشاب الليلة الفائتة.

كانت ماريا مندهشة حتى الجمود. قالت:

ـ آه، يا الهي! لماذا؟ لماذا يريد ان يمنعني من رؤية لاري؟

ـ افضل الّا أقول لك السبب، يا آنسة.

ـ ما بالك يا سيدة لاسي! الامر شديد التفاهة!

ـ ربما نعم، ربما لا! في كل حال لست انا من بامكانه ان يقول لك ذلك. لن انطق بشيء بعد الآن.

نظرت اليها ماريا بغيظ وقالت:

ـ سيدة لاسي! هل اتّصل لاري، نعم ام لا؟

ترددت المربية ثم قالت متنهدة:
- لا اعرف اذا كان يجب ان اتكلم. آه نعم... اتصل بك... مرّتين...
انتفضت الفتاة وقالت:
- مرّتين؟ الوضع اسوأ مما كنت عليه عند والدي. سأكلم آدم في الأمر عندما يعود.
- لو كنت مكانك، لن افعل يا آنسة. لن يؤدي ذلك الاّ الى حدوث مشاكل...
صرخت ماريا:
- لم اقل بعد كلمتي الاخيرة.
خرجت السيدة لاسي بعد الساعة الثانية بقليل. وراقبتها ماريا وهي تسير على الرصيف وتتجه الى محطة الباصات. ولمّا تأكدت من صعودها في احد الباصات، اطمأنت وعادت الى البهو وتناولت سماعة الهاتف. وبعد نصف ساعة، رن الجرس. فذهبت ماريا لتفتح الباب للاري هادلي الذي قال مبتسماً:
- صباح الخير. اعتقدت انني اهنتك حسب نبرة الخادمة الباردة على الهاتف.
ابتسمت له ماريا بدورها وقالت بلطف:
- لا، ابداً. حدث سوء تفاهم، وهذا كل ما في الامر. حظي كبير لأنني وجدتك في المنزل الآن.
- بالفعل.
كانت ماريا ترتدي سروالا قمحياً ضيقاً وقميصاً حمراء.
فأضاف قائلا:
- كنت ذاهباً الى نادي كرة المضرب. وانا اتساءل اذا كنت ترغبين مرافقتي. هل تلعبين كرة المضرب؟
تلألأت عينا الفتاة حماساً وقالت:
- احب لعبة كرة المضرب كثيراً. لكن للأسف لم اجلب معي...

المضرب.
- لا بأس. ستستعيرين واحدة هناك. هل تأتين اذن؟
- بكل سرور! انتظرني كي اغيّر ملابسي. لن اطيل الغياب.
جلس لاري في الصالون الصغير بانتظار ماريا التي صعدت السلالم بعجلة. وبسرعة البرق خلعت ملابسها وارتدت بزة بيضاء. ثم هبطت من جديد وتوجهت الى لاري الذي قال باعجاب، ويداه في جيبي سرواله:
- انت رائعة! ستلفتين الانظار داخل النادي. من النادر ان نرى وجوهاً جديدة، وخاصة اذا كانت فتاة جميلة مثلك!
كان نادي كرة المضرب بناء جميلا، يؤمه الشباب والشابات الذين يعملون في مهن حرّة في الجوار. لم يسبق لماريا ان زارت مبنى كهذا. فاستقبلت بترحاب كونها قريبة آدم وكونها ايضاً متحمسة وفي ريعان شبابها. استأجرت مضرباً لفترة بعد الظهر ولعبت المباراة الاولى مع لاري ضد اثنين آخرين. فربحا الشوط الاول، دعاها لاري الى المقهى ليقدم لها كأساً احتفالا بهذا النصر.
قدّمها الى عشرات الاشخاص الذين نسيت اسماءهم، ما عدا افلين جيمس وديفيد هالام. ايفلين ابنة مدير مصرف وديفيد ابن محام. اعجبت ماريا بديفيد في الحال، لأنه لطيف. ولما دعاها الى الخروج في المساء، كادت ان تقبل دعوته من دون شروط لولا نظرات افلين الغيورة ووجود لاري. ففضلت الامتناع عن تلبية دعوته، لكن ديفيد وعدها ان يتصل بها في بداية الاسبوع المقبل.
وفي المساء، اقترح لاري على ماريا العودة. ولما كانا في السيارة، سألها:
- كنت تتحدثين معظم الوقت مع ديفيد! ماذا كنت تقولين له؟
رفعت ماريا كتفيها وأجابت:
- كنا نتحدث عن امور كثيرة.
اجابها بنبرة عدائية:

- غازلك، أليس كذلك؟ انه يبالغ!
- اذن، ما دمت تريد ان تعرف كل شيء، سأقول لك ان ديفيد دعاني الى تناول العشاء معه، في المساء، لكني رفضت دعوته.
- آه!
صمت مدة طويلة قبل ان يتابع قائلا:
- اني آسف، يا ماريا. لكني غيور، على ما اظن. ما رأيك لو نذهب الى السينما، في المساء؟ بامكاننا ان نأكل سندويشاً قبل موعد الحفلة ثم نأخذ عشاء كبيراً في مطعم ما بعدها؟
ترددت ماريا وقالت:
- لا اعرف، يا لاري. لا شك ان آدم اعدّ شيئاً للسهرة...
تنهّد الرجل وقال:
- لكن، لا اعتقد انه يبالي بذهابك او ايابك.
- اني اتساءل... ما رأيك لو نؤجل هذه السهرة الى يوم آخر؟ اتصل بي هاتفياً في الغد!
لم يكن لاري راضياً، لكنه اوصل ماريا الى المنزل ثم اقلع بسيارته مسرعاً.
كانت سيارة آدم متوقفة، فلم تشعر الفتاة برغبة في مواجهته. دخلت بخطوات هادئة واغلقت الباب وراءها بلطف من دون احداث اي صوت.
انتظرت دون ان تقوم بأدنى حركة. اين آدم؟ ماذا يفعل؟ لم تسمع اي صوت من اي مكان. توجهت الى الصالون الصغير لتلقي نظرة داخله، لكنها وجدت الغرفة فارغة. ثم توجهت الى المطبخ والى غرفة الطعام. لا اثر لأي انسان. لا شك انه في غرفته يغيّر ملابسه. هذا ما فكرت به ماريا وهي تقطب حاجبيها. حسب أقوال السيدة لاسي، فهو يعود دائماً في أواخر بعد الظهر. عادت ماريا متنهدة الى الصالون الصغير وارتمت على المقعد وخلعت حذاء كرة المضرب لتريح قدميها. فجأة انتفضت لدى سماعها ضجة ما. فالتفتت نحو

الباب واذا بها ترى آدم واقفاً على العتبة، وسيماً، وانيقاً في بزته الكحلية وقميصه الزرقاء الفاتحة وربطة عنقه المخططة.
قال ببرود:
- ها، انك عدت اذن. اين كنت؟
تمددت ماريا على طول الاريكة، متخذة قراراً الاّ تدعه يخجلها. فقالت:
- كنت في نادي كرة المضرب، مع لاري.
- لاري هادلي؟
- نعم.
قطب آدم حاجبيه وسألها:
- هل جاء الى هنا؟
- اتصلت به هاتفياً وطلبت منه ان يأتي لاصطحابي.
سألها باندهاش:
- اتصلت به؟
حاولت ماريا المحافظة على برود اعصابها فرددت:
- اتصلت به هاتفياً. الظاهر انك اعطيت اوامرك للسيدة لاسي. حسب رأيها، لا يحق له ان يكلمني. لذلك قررت ان اتصل به انا بالذات.
لم يرد آدم في الحال. وراح يذرع الغرفة ذهاباً واياباً. وفجأة توقف قرب الفتاة ونظر اليها من فوق وقال اخيراً:
- افهم الآن.
جلست ماريا. كانت منزعجة من نظرته الحادة والثاقبة ثم قالت:
- لا سبب للقلق يا آدم. السيدة لاسي لم تخن بارادتها. لقد ارغمتها على البوح بذلك.
قال آدم بجفاف:
- لم اشك ابداً بنزاهة السيدة لاسي واستقامتها.
اطلقت ماريا زفرة وقالت:

ـ لقد سئمت البقاء وحيدة. كنت بحاجة الى شخص اكلمه. وبما ان السيدة لامبي كانت خارجة . . .
ـ نعم، تذهب لزيارة شقيقتها كل اسبوع.
اجابت الفتاة وهي تتفحص اظافر اصابعها عن قرب:
ـ قالت لي هذا الكلام. وبما انك لم تكن هنا، ايضاً. . .
ـ تناولت طعام الغداء مع لورين.
ـ وبعد ذلك. ماذا فعلت؟
رفع كتفيه واجاب:
ـ لا شيء يذكر.
شعرت ماريا بالدمع يعلو وجهها فقالت بوقاحة:
ـ شيء جميل!
امسكها آدم بذقنها وارغمها على رفع نظرها اليه ثم قال بقسوة:
ـ هذا لا يعنيك. كنت اعتقد اننا على اتفاق. . . في ما يختص الآداب العامة.
ازاحت نظرها عنه وقد شعرت باضطراب لبرودة لمسته وحدتها. فتابع يقول:
ـ لدي سبب وجيه في معارضتك لمعاشرة لاري هادلي.
نظرت اليه ماريا ثائرة وقالت:
ـ سئمت قضاء النهارات بين اربعة جدران! يبدو انك نسيت ذلك! اني ضجرة! لم اعد احتمل هذا الوضع.
اجاب آدم باختصار:
ـ لم يرغمك احد على المجيء.
ـ تريد ان تجعلني تعيسة كي اغادر المكان بنفسي، اليس كذلك؟
راح آدم ينظر اليها بالحاح ثم قال:
ـ ابداً! الم تتصل بك جانيت صباح اليوم في ما يخص مدرسة السكريتاريا. لو كنت اريد طردك لما طلبت من سكريتيرتي ان تضيع وقتها لتستعلم حول دروس الطباعة والاختزال!

اطلقت ماريا زفرة وقالت:
ـ لا اعتقد انه بامكانك ان تمنعني من رؤية اصدقائي!
ـ لا امنعك من ذلك. لكن لم يتسن لك حتى الآن ان تلتقي بالناس. لم يكن هناك مناسبة.
ـ ومن المخطىء؟
وضع آدم يديه في جيبي سرواله وقال بغيظ:
ـ انا، على ما اظن. آه يا ماريا. انت تسببين لي المشاكل!
قالت بصوت كئيب:
ـ شكراً.
ثم طرأت على ذهنها فكرة، سألته فجأة:
ـ هل. . . انت خارج من جديد؟
ازاح آدم الخصلة العنيدة التي لا تكف عن الوقوع على جبينه وقال:
ـ نعم.
سألته ماريا وفي عينيها ارتسمت خيبة الأمل:
ـ الى اين انت ذاهب؟
توجه آدم نحو النافذة وقال بصوت خاضع:
ـ انا ذاهب الى فينشام، مع لورين.
ـ فينشام اين تقع؟
ـ انها قرية صيادي الاسماك، في منطقة كنت. هناك تملك لورين منزلاً.
ـ آه. . . لقد فهمت.
كان صوتها مخنوقاً وشعرت بدملة في جوف معدتها. عض آدم على شفته في غضب وقال:
ـ لا تنظري الي باشمئزاز، يا ماريا. سبق وذهبت الى هناك مراراً!
قالت متذرعة باللامبالاة:
ـ نعم. . . نعم. . . لا اشك بذلك. و. . . سيكون الطقس

جيلاً، خلال عطلة هذا الاسبوع.

اطلق آدم شتيمة وتقدم من الفتاة في خطى عريضة وقال:

- هيا. وضبي امتعتك. ستأتين معي.

صرخت مذعورة:

- كلا... كلا! لا... لا اريد. لا اريد ان افرض نفسي على احد.

قال في وحشية:

- اطيعي يا ماريا! واستعجلي! والا سأتولى بنفسي هذه الامور!

ذعرت ماريا ونهضت عن الاريكة وقالت:

- ولكن... ماذا ستفكر السيدة لاسي؟

- لا تقلقي على السيدة لاسي. سأترك لها كلمة. هيا، اسرعي.

اسرعت ماريا الى غرفتها وراح قلبها يخفق بسرعة جنونية. كيف بامكان آدم ان يقرر مرافقتها معه عند لورين من دون ان يستشير الممثلة؟ ماذا ستقول هذه الاخيرة؟ ستكون غاضبة من دون شك! لورين ليست من نوع النساء التي يمكن ان يتساهل معها الآخر بسهولة! ستكون الفتاة عدداً زائداً بين الخطيبين المهتمين ببعضهما البعض. هذه الفكرة ادت الى حدوث الم كبير في معدتها. هناك مشهد لا تطيق رؤيته، وهو ان ترى آدم يتحول الى عبد امام سحر لورين الجذاب.

لكن لم يعد لديها اختيار، ولا حتى اي حجة للتهرب من مرافقة آدم. ستذهب، لكن ستبذل جهدها الا يلاحظها احد.

وضعت سروالها القمحي والقميص الحمراء، ثم وضعت سروالاً قصيراً وفستانين وبزة سباحة محتشمة في حقيبة صغيرة، ونزلت للقاء آدم، الذي كان يدخن سيكاراً في الصالون الصغير ومنغمساً في قراءة مجلة طبية. رفع عينيه عندما دخلت والقى نظرة راضية على ملابسها. فقالت:

- اني... انا مستعدة. هل انت اكيد بأن الآنسة غريفيتس لن

تعارض وجودي؟

اجابها بلطف وهو يضع المجلة على احد الرفوف:

- دعيني اتصرف بنفسي. هل تأخذين معطفك؟

- نعم.

وافق بحركة من رأسه وقال:

- عظيم. لنذهب الآن. سنمر اولاً لأخذ لورين ثم نتوجه مباشرة الى فينشام.

وافقت ماريا. وكانت على وشك الخروج من الغرفة عندما التفتت وراءها لتتأكد من ان آدم وضع الرسالة للسيدة لاسي على المدفأة.

حمل آدم حقيبة الفتاة ووضعها قرب حقيبته في صندوق الروفر الخلفي. وحين بدأ الاستعداد للصعود الى السيارة ترددت ماريا لانها لم تكن تعرف اذا كان عليها ان تجلس في المقعد الأمامي او الخلفي. فأسرع آدم الى القول:

- أجلسي في المقعد الأمامي وستغيرين مقعدك عندما نصل الى منزل لورين.

صعدت ماريا في المقعد الأمامي قرب آدم الذي ادار المحرك واقلعت السيارة. لأول مرة تصعد ماريا في سيارته. لو كانت في ظرف طبيعي لفرحت بالركوب معه، لكنها الآن قلقة وتخشى ردة فعل لورين.

حركة السير كانت مزدحمة. ولم يتبادلا الكلام خلال الطريق. اخيراً وصلا الى شيلسي واوقف آدم سيارته امام مبنى ضيق ومرتفع يعود الى القرن الثامن عشر. الستائر المخرمة واواني الزهور تزين النوافذ، بينما تنمو النباتات والورود على مدخل البناية.

التفت آدم الى الفتاة وسألها:

- هل تنتظرينني ام تاتين معي؟

احمرت ماريا وهمست:

- افضل البقاء هنا. سأجلس في المقعد الخلفي بانتظارك.

تردد آدم. اراد ان يضيف شيئاً لكنه خرج بعنف من السيارة. غيرت ماريا مكانها وجلست في المقعد الخلفي. وفي هذا الوقت رأته يصعد السلالم. ثم يخرج من جيبه محفظة مفاتيح ويفتح الباب بمفتاحه الخاص. فدهشت ماريا وشعرت بتعاستها في الحال. وزاد حقدها واستياؤها من لورين لهذه الصداقة الحميمة بين آدم والممثلة. انها غيورة من آدم وتعي ذلك تماماً.

بعد ربع ساعة وعندما كانت ماريا تتساءل حول امكانية الانسحاب بهدوء والعودة الى منزل آدم، خرج آدم من المنزل ترافقه لورين وامرأة مسنة. ولما رأت تعابير وجه الممثلة ندمت لأنها لم تنسحب بهدوء! كانت تبدو شرسة ولم توجه الكلام الى ماريا بينما كان آدم يساعدها للصعود في السيارة. اما المرأة المسنة، ففتحت الباب الخلفي وابتسمت بلطف للطبيب الذي مد يده للمساعدة، وجلست قرب ماريا بعد ان رمقتها بنظرة فضولية. تقوقعت الفتاة في الزاوية، تلوم نفسها لأنها لم تعرف ان تجد عذراً لعدم المجيء.

قال آدم وهو يأخذ مكانه في السيارة:

ـ اليس، اقدم لك ماريا، ابنة زوج والدتي. ماريا، اقدم لك اليس، خادمة لورين. انها ترافقنا كالعادة الى فينشام.

انتبهت ماريا الى تلميح آدم وسلمت على اليس بتهذيب وفضلت ان تتحاشى نظرات آدم الساخرة.

الطريق كانت اقل صعوبة مما كانت الفتاة تتوقعه. ظلت لورين تواصل تجاهلها لوجود الفتاة، مولية انتباهها كلياً لآدم. وهذا ما كانت ماريا ترغبه. اما أليس فراحت تكلم الفتاة بلطف وتطرح عليها الاسئلة المتنوعة، حول حياتها في ايرلندا ومستقبلها. في الحال استلطفت الفتاة الخادمة وراحت تثرثر معها، بحرية تامة. ونسيت ان آدم وخطيبته يسمعان كل الحديث.

كانت السيارة تجتاز الطريق وتطل على البحر من بعيد. فقالت ماريا:

ـ هناك، في ايرلندا، نسكن قرب البحر. ونستفيد بالوقت نفسه من الريف والبحر معاً.

اشارت اليس برأسها دلالة على انتباهها لحديث ماريا، ثم سألتها:

ـ ولماذا جئت الى لندن؟

ابتسمت ماريا وقالت:

ـ حدثتني جيرالدين عن لندن كثيراً الى درجة اني حلمت بالمجيء لرؤيتها. جيرالدين هي والدة آدم. لقد تزوجت من والدي.

ـ اعرف ذلك.

ـ كنت ارغب برؤية لندن والسكن مع آدم. الطب مادة احبها كثيراً. عندما كان آدم يأتي الى كيلكارني، كان يتحدث مع والدي عن عمله وكنت احب ان اصغي اليه. ان تعقيدات الجسم الانساني شيء ساحر.

ـ ألا تحبين ان تصبحي ممرضة مثلاً؟

ـ كلا. حينئذ اشعر بانتهاء كلي. لا يمكنني ان اقبل ان بعض الامراض لا شفاء او علاج لها.

نظرت اليها اليس بلطف وسألتها:

ـ هل اعجبتك لندن؟

ترددت ثم قالت:

ـ اعتقد... طبعاً لم ار الشيء الكثير منها. لكن متى بدأت دروسي، سأتعرف الى المدينة بشكل افضل.

ـ اذن قررت البقاء هنا؟

قطبت ماريا حاجبيها واجابت:

ـ لكن... بالطبع!

ـ حسبما قالته الآنسة غريفيتس، ليس هذا اكيداً.

احمر وجه ماريا واكدت لها بصوت مرتفع ليسمع الجميع ما تقوله:

ـ انا باقية، قررت ذلك بشكل نهائي.

اخيراً وصل الجميع الى فينشام. انها قرية اشتهرت بشاطئها الجميل ومرفأها الصغير وبمنازل عديدة فاخرة. انه مكان ريفي يؤمه اللندنيون بكثرة.

اجتاز آدم القرية والشمس مشرفة على المغيب. نظرت ماريا من نافذتها باهتمام ناسية غضبها لوقت قصير. صعدت السيارة في طريق متعرجة، ثم توقفت امام فيللا بيضاء مبنية على قمة الصخر. تساءلت ماريا اين يقع منزل لورين.

بدأت اليس تجمع اغراضها، ثم قالت مبتسمة:

- وصلنا.

حدقت ماريا مرة اخرى من وراء النافذة وهتفت:

- اي فيللا. . . هذه؟

التفتت لورين نحو الفتاة وقالت:

- طبعاً! ماذا كنت تتوقعين بالضبط؟ كوخاً من دون كهرباء او ماء؟

فضلت ماريا عدم الرد.وخرجت من السيارة في الحال.

الهواء كان منعشاً والمنظر رائعاً. ومن الفيللا يمكن رؤية القرية الواقعة اسفل الجبل الصخري. سلالم متعرجة تصل الفيللا بالشاطىء. انه مكان مهجور، موقعه مريح وخاص، يليق تماماً بامرأة مثل لورين.

هبط آدم من سيارة الروفر والقى نظرة خاطفة الى ماريا قبل ان يفتح الباب للورين. كانت ماريا تنظر اليه بتحد. فسألها آدم بصوت محايد:

- هل يعجبك المكان؟

تظاهرت ماريا بعدم الاكتراث وانتهت بالقول رافعة كتفيها:

- لا بأس به!

خرجت لورين من السيارة بدورها. وكانت ترتدي باناقة بزة مخملية تناسبها.

اخرج آدم الحقائب من صندوق السيارة. فانفتح باب الفيللا وخرجت منه امرأة تحمل كيساً مليئاً بالمؤن. وعندما شاهدت لورين اسرعت نحوها. فراحت اليس تشرح لماريا بصوت خافت:

- انها السيدة جينكينز، الخادمة. تهتم بصيانة الفيللا.

اعلنت الخادمة انها احضرت عشاء بارداً وحيت لورين ثم انصرفت:

دخل الجميع الى المنزل والصالون الواسع يمتد طول الفيللا. مفروش بالاثاث الفاخر والمريح ومزين بالروافد الظاهرة في سقفه. ومن الصالون تصعد السلالم الى الطابق الأعلى. يفتح الصالون من اليمين على غرفة الطعام المطلة على مطبخ كبير وحديث.

الطعام كان على الطاولة في غرفة الطعام. لم تكن ماريا تعرف ما تفعله بينما كانت اليس تعلق معطفها وتضع الماء ليغلي. فقالت للفتاة:

- اجلسي في الصالون. فالآنسة غريفيتس لن تأكلك!

تنهدت ماريا وقالت:

- لو كان بامكاني التأكد من ذلك! فلم تستحسن قدومي، اليس كذلك؟

ابتسمت المرأة المسنة بحزن واجابت:

- كلا. بالفعل. انها تعتبر السيد آدم ملكها الخاص وتكره رؤية مشاريعها معاكسة.

قالت ماريا ممتقعة:

- هل السيد آدم فعلاً ملكها الخاص؟

كانت اليس على وشك الرد عليها عندما اطلقت صرخة استغراب، فالتفتت ماريا الى الوراء، وراح قلبها يخفق بسرعة. فرأت آدم وهو ينظر اليها. ثم قال:

- ماذا تعنين بهذه الملاحظة، يا ماريا؟

- اني. . . اني. . . اين الآنسة غريفيتس؟

اجابها ببرود:

- الآنسة غريفينس تغير ملابسها للعشاء. تعالي الى الصالون، يجب ان اكلمك.

ترددت ثم قالت:

- الا يمكنك ان تكلمني في وقت لاحق، يا آدم؟ كنت اساعد اليس...

- عجلي. يجب ان اكلمك على انفراد في الحال.

٦ - الشاطىء في الصباح

جلس آدم قرب ماريا في قاعة الاستقبال الكبيرة وراح يتأملها بغضب ثم قال:

- اذن، تثرثرين من وراء ظهري مع اليس؟

كانت ماريا منزعجة وراحت تشرح بارتباك:

- كنت اشك في ما قالته، ببساطة وحسب.

- لا احب الثرثرة وذم الناس.

- انت ايضاً تتكلم من وراء ظهري.

- صحيح؟ وما الذي يجعلك تعتقدين ذلك؟

- لقد سمعت اليس في السيارة. حسب ما قالته، ليس اكيداً اني سابقى في انكلترا!

- لا ارى العلاقة!
- لا شك انك قلت شيئاً عن هذا الموضوع!
- بامكان لورين ان تقول ما تريده لخادمتها!
صرخت ماريا وقالت:
- هل تنكر انك ناقشت وضعي معها؟
- ليس هناك ما اقوله!
تنهدت ماريا وقالت:
- في كل حال، هي لم تكن تريد وجودي هنا. وهذا الأمر واضح وجلي.
ازاح آدم خصلة شعره كالعادة وقال:
- من دون اي شك. لكن. اذا قلت بأنك ستأتين معنا، فانا صاحب الكلمة الأخيرة. هل هذا واضح الآن؟
- واضح جداً.
سحب الطبيب سيكاراً صغيراً من علبة وقال:
- وبانتظار ذلك يمكنك ان تحاولي الافادة من هذه العطلة الصغيرة! هل فكرت في الأمر؟
لم تشعر ماريا بمزاج المصالحة، فقالت:
- كلا، اصرح لك بذلك. كم سنبقى هنا؟
- نعود صباح الاثنين حتى نصل الى لندن قبل الغداء.
قالت ماريا في ذهول:
- الاثنين!
ثم تابعت بمرارة:
- هل يجب علي تغيير ملابسي قبل العشاء؟
راح آدم ينظر اليها مفصلاً، من رأسها حتى اخمص قدميها، متعمقاً بالنظر في سروالها وقميصها. ثم قال:
- لا، ليس ذلك ضرورياً.
احنت ماريا رأسها. الأمر لا يتغير. لورين تسحره كما تسحر

الجميع بوجهها الفاتن وجسمها الذي يشبه اجسام الحوريات.
ثم توجهت ماريا نحو النافذة المطلة على البحر. حل الليل، وفي القرية الاضواء تشتعل الواحد تلو الآخر. كانت تشعر بانزعاج وعصبية، بينما كان من المفروض ان تشعر عكس ذلك. كان من المستحسن ان تكون سعيدة لقضاء يومين على شاطىء البحر. آه، لو كان بوسعها ان تتخلص من هذا العشاء برفقة آدم ولورين! راحت تفكر بوسيلة، لكن من دون جدوى. كان يجب على آدم ان يفكر ملياً قبل ان يدعوها الى المجيء معه.
فجأة شعرت بوجوده قربها. انه هو. كان ينظر اليها بعينين حالمتين. ثم قال:
- المنظر رائع، اليس كذلك؟
انه بهذا الكلام يقدم لها فرصة نسيان العراك وسوء التفاهم الحاصل بينهما منذ وصولها الى لندن.
فأجابت بصراحة:
- نعم، لكن لم اكن اتوقع كل هذا.
- كنت اشك بالأمر. كنت تتوقعين منزلاً صغيراً خالياً من وسائل الراحة، كما قالت لورين في السيارة.
- نعم. هذا صحيح.
- لورين امرأة تحب الترف، كما ترين.
- بالفعل، كان يجب علي ان الاحظ ذلك. كنت اعتقد انكما ستكونان وحدكما هنا. لم اكن اعرف انها تصطحب معها خادمتها.
- ولما لا؟
احمرت ماريا فجأة وقالت بوقاحة:
- هذا امر حتمي، اليس كذلك؟
امسكها آدم بكتفيها وادارها صوبه وقال:
- كلا، ليس الأمر حتمياً! ليس بالنسبة الي. في كل حال اذا كنت تفكرين بما اعتقده، بامكانك ان تنسي الأمر كلياً! اذا كنت اريد

مغازلة لورين، فلست بحاجة الى السفر بعيداً وقطع مسافة مئة وخمسين ميلاً لذلك!

شعرت ماريا بخديها تشتعلان احراراً، ثم تقول وهي تتخلص من قبضته:

ـ اتركني. لماذا جئت بي الى هنا؟ لم اكن اريد المجيء، انت تعرف ذلك جيداً. كل ما ترغب به هو اهانتي!.

تركها آدم فجأة. فوجئت ماريا ورجعت الى الوراء، وتعثرت بطاولة صغيرة موجودة قرب المدفأة وضرب رأسها بزاوية المدفأة. . . غابت عن الوعي وسقطت ارضا.

وفي لمح البصر كان آدم راكعاً قربها. فأفاقت بسرعة، فساعدها على النهوض وراحت تلمس صدغيها. ثم نظرت الى آدم فرأت في عينيه القاتمتين القلق والخوف فسألها:

ـ كيف تشعرين؟ اني آسف. لم اكن اريد ان اؤذيك؟

ارتعشت ماريا لدى ملامسته يدها وراحت ترتجف خائفة ان تخور من شدة الانفعال. فقامت بحركة جانبية لتتحاشى نظرته والانفلات منه.

فقالت بصوت احتجاج:

ـ لا بأس. . . انها . . . غلطتي انا.

اجاب بلطف وهو ينظر اليها بحدة ناعمة:

ـ كلا. ليست غلطتك. انها غلطتي انا. لم يكن حدث ما حدث لو لم اكن غاضباً. لنتصالح الآن ولنقم الهدنة بيننا! لنحاول الافادة من هذه العطلة، اليس هذا ما تريدينه ايضاً؟

نظرت اليه ماريا مرتجفة وهمست بخجل واضعة يدها على ذراع آدم وقالت:

ـ انا دائماً سعيدة حين اكون معك.

شعرت الفتاة بذراعه القوية تحت قماش بزته الكحلية واحست فجأة برغبة الاقتراب منه اكثر. هذا الانفعال ليس فيه اي روح

اخوية.

نظر اليها آدم وقال بانفعال شديد:

ـ ماريا!

لكن هذه اللحظة الغريبة لم تدم طويلاً، اذ سمعا وقع خطوات على السلالم. كانت لورين نازلة الى الصالون.

ابتعد آدم بسرعة عن ماريا وتقدم لاستقبال لورين. كانت الممثلة ترمق ماريا بنظرات ملؤها الشك. اذ كانت تبدو جميلة بخديها الناريين وشعرها الكستنائي المجعد حول كتفيها وقميصها الأحمر.

اما لورين فكانت رافعة شعرها بكعكة وترتدي فستاناً من الكريب الاخضر الغامق والضيق. كانت رائعة بجمالها الجذاب. كيف بامكان اي رجل ان يلتفت نحو امرأة اخرى عندما تكون لورين موجودة؟ فهي محط الانظار وتسحر الالباب.

عاود ماريا ألم في رأسها حيث ارتطمت بالمدفأة، فأسرعت في الحال تقول:

ـ انا. . . لا اشعر بحالة جيدة. هل بامكان اليس ان تدلني الى غرفتي؟ ارغب في الذهاب الى الفراش.

التفت اليها الطبيب وقال:

ـ ماذا جرى؟ هل تشعرين بألم؟

احمر وجه ماريا وقالت:

ـ قليلاً. لا اشعر بحالة جيدة، هذا كل ما في الأمر. الا ترى اي مانع ان. . .

قاطعتها لورين فرحة لهذا الوضع وقالت:

ـ لا، ابداً، يا ماريا.

اكد آدم بشدة:

ـ بلى، يا ماريا. اذا كنت مريضة، فسأفحصك.

نظرت اليه الفتاة بخوف وقالت بخجل:

ـ لست مريضة فعلاً. . .

- في هذه الحال، ستبقين هنا وتتناولين العشاء معنا.
كان الأمر مختصراً فأثار الدهشة عند ماريا.
خضعت للأمر الواقع وقالت:
- اذن، سأبقى.
وضعت يديها في جيبي سروالها وتابعت تقول:
- لكني افضل ان اغسل وجهي ويدي قبل العشاء. اين. . . اين سأنام الليلة؟
اطلقت لورين زفرة وقالت:
- ستتقاسمين الغرفة الصغيرة مع اليس. اني آسفة يا ماريا، لكن ليس في المنزل الا ثلاث غرف نوم، وبالتالي لا يمكنني ان ادعك تتقاسمين غرفتي!
نظر آدم الى ماريا وقال بهدوء:
- ستشغل ماريا غرفتي.
نظرت لورين نظرة تهديد الى خطيبها وبدأت تقول:
- لكن. . . آدم. . .
فقاطعها وقال باختصار:
- سأنام على الاريكة في الدار. اذن، هل ادل ماريا على الغرفة او تفعلين ذلك انت؟.
اغتاظت لورين وصعدت على مضض الى الطابق الأول لتدل الفتاة الى الغرفة التي ستنام فيها. كانت ماريا تستعد لجلب حقيبتها، لكن آدم سبقها واحضرها لها.
ولما بقيت ماريا وحدها في الغرفة، ارتمت على السرير واصابتها نوبة اضطراب وتوتر. تشوش عقلها ولم يكن ذلك ناتجاً عن الوقعة التي اصابت رأسها! انما. . . آدم. . . وفضلت الا تفكر في الأمر بتاتاً.
اخذت الفتاة حماماً في الحمام بنية الاسترخاء والهدوء، ثم ارتدت فستاناً اصفر وسرحت شعرها ببطء لتؤخر فرصة اللقاء بآدم

وخطيبه. واخيراً هبطت السلالم بعنف محدثة ضجة كي تعلم الحضور بوصولها. فلم تكن ترغب ان تفاجأ بهما في عناق.
ولما دخلت الى الصالون، لم تر احداً. نظرت حولها ورأت الباب المطل على الشرفة مفتوحاً. اقتربت ورأت آدم ولورين يأخذان المقبلات على ضوء القمر.
نهض آدم لدى وصولها وقال:
- ماذا تشربين، يا ماريا؟ عصير الفاكهة؟ ام القهوة؟
- افضل شراباً حاداً. لم اعد فتاة صغيرة.
احنى آدم رأسه ودخل الى الصالون يحضر لها كأساً.
رمقت لورين الفتاة بنظرة مواربة ثم قالت لها:
- تعالي، يا ماريا، لا تخافي، لن آكلك.
احمرت ماريا لكن الظلام اخفى ارتباكها لحسن حظها. خرجت الى الشرفة وارتعشت لبرودة الجو.
اشارت لها لورين ان تجلس قربها. كان بامكان ماريا التظاهر بجهل الموضوع لكنها اطاعت. قالت الممثلة:
- انت فتاة جريئة! اكثر مما كنت اتصور. او ان ذلك وقاحة؟
نظرت اليها ماريا بامعان محاولة ان تفهم مقصدها، لكنها سألت:
- ماذا تعنين؟
اطلقت لورين زفرة مزعجة وقالت:
- هيا، يا عزيزتي، لا تمثلي علي! انت تعرفين ما اعني، لا تتظاهري بعدم الفهم!
هزت ماريا رأسها وقالت:
- هل تقصدين وجودي هنا؟
قالت لورين وهي تطلق دخان السيكارة من فمها:
- طبعاً.
- اصر علي آدم للمجيء.
- هذا تماماً ما كنت اريد قوله.

- اني لا افهم.

- بلى، تفهمين يا ماريا. في البداية وصلت، وشعر آدم بانزعاج كبير. لكن تدريجياً نجحت في ان تدعيه يشعر بالندم. والآن، آدم المسكين يشعر بأنه مضطر ان يتقبلك.

انتفضت ماريا. لكن لورين اكملت تقول:

- هل تعتقدين ان اليس ترافقنا دائماً الى فينشام؟

كانت ماريا تريد النهوض لتتخلص من هذه المرأة ومن لسانها الذي يشبه لسان الحية، لكن آدم عاد لتوه حاملاً كأس المشروب. قدمه اليها فاضطرت ماريا الى قبوله ثم عادت لتجلس في مقعدها. سألت لورين:

- هل انتهت اليس من تحضير العشاء؟

- نعم. العشاء جاهز.

العشاء كان كارثة. فلم تتمكن ماريا من ابتلاع الطعام لكنها كانت تحاول جهدها لئلا توقظ حشرية آدم.

وكانت تشعر بأنه نظر اليها بحدة، عدة مرات، مما جعلها تحمر وتصفر اكثر من مرة. بعد القهوة اقترحت لورين على آدم القيام بجولة في السيارة عبر القرية. فشعرت الفتاة بارتياح امام هذا المشروع. فسأل آدم:

- هل تحبين يا ماريا ان تأتي معنا؟

هزت الفتاة رأسها بعصبية واجابت باختصار:

- لا، شكراً. افضل ان اذهب الى الفراش.

تقلص وجه آدم وسألها:

- هل انت مريضة؟ بالكاد ذقت الطعام الآن.

رفعت ماريا كتفيها واجابت:

- اني متعبة، لا اكثر.

اضطر آدم ان يقبل حجتها. لم تكن ماريا ترغب الا بالذهاب الى غرفتها بأسرع ما يمكن.

لم يسبق ان التقت بانسان شيطاني مثل لورين غريفيتس. كانت على حق في انها لم تثق بها منذ البداية.

نامت ماريا في الحال برغم همومها. وافاقت في صباح اليوم التالي على صوت النوارس. فنهضت من سريرها وتوجهت الى النافذة. كان النهار ما زال باكراً. لكن لدى رؤيتها الامواج العالية والشاطىء المهجور، شعرت فجأة برغبة ملحة للغطس في الماء.

وبسرعة، خلعت قميص نومها وارتدت بزة السباحة ثم وضعت فوقها قميصها وسروالها الأحمر ورفعت شعرها للأعلى. ثم تناولت منشفة وخرجت من غرفتها من دون احداث اي ضجة وهبطت السلالم. في هذه الساعة الباكرة الجميع نيام ولا تريد ايقاظ احد، مهما كان. ولما وصلت الى اسفل السلالم، انتفضت لسماعها ضجة. فوجئت وازاحت راسها. فرأت آدم خارجاً من المطبخ، مرتدياً سروالاً قصيراً كحلياً وقد عقد منشفة حول عنقه. فهتف مندهشاً:

- ماريا! اعتقدت ان القادم هي اليس، الساعة ما تزال السادسة والنصف.

- كنت... كنت ارغب في السباحة.

بحثت بعصبية عن لورين غريفيتس بعينيها لكنها لم تلمح احداً في الصالون. وعلى الاريكة تكومت الاغطية والوسائد. هنا نام آدم كما وعدها بالأمس.

- لورين ما زالت نائمة. لن تفيق قبل ساعات من الآن.

حاولت ماريا ان تخبىء انزعاجها. فتوجهت نحو الباب وسألته متظاهرة بأنها لم تسمع ملاحظته:

- هل بامكاني السباحة؟

- طبعاً. وهذا ما كنت سافعله. ما رأيك لو نذهب معاً؟

رفعت ماريا كتفيها وقالت بارتباك:

- كما تريد.

- اذن، هيا بنا.

فتح آدم الباب وخرجا. الهواء منعش لكن غيمة خفيفة تملأ السماء. قال آدم وهو يمشي قرب الفتاة:

- النهار سيكون حاراً. من يدري، ربما ستفرحين بوجودك هنا؟

فضلت ماريا عدم الاكتراث للهجته الساخرة. وصلا الى السلالم التي تؤدي بهما الى الشاطىء. دعته يمر امامها حتى يقدم لها يده. الادراج عالية وكانت فرحة لأن هناك من يساعدها في النزول. الرمال كانت فاترة تحت اقدامها العارية. خلعت ماريا قميصها والقت نظرة ارتباك الى آدم. فكان قد تقدم قليلاً ليفسح لها مجالاً لخلع ملابسها. انتزع سرواله القصير وظهر المايوه الأسود. ثم اسرع نحو البحر وغطس في الامواج.

ترددت ماريا في البدء. الأمواج الصغيرة كانت تداعب قدميها وبدت باردة فخافت الارتماء فيها. اخيراً تحلت بالشجاعة واخذت نفساً عميقاً وغطست بدورها.

المياه كانت رائعة ومنعشة. سبحت ماريا قليلاً ثم راحت تبحث عن آدم. فرأته بعيداً يتسلق صخرة. اشار اليها ان توافيه. لم تكن المسافة بعيدة لكنها وصلت الى الصخرة كانت تلهث وبالكاد تمكنت من ان تصل قرب آدم. ثم تمددت على ظهرها وتركت جسمها يتلون تحت اشعة الشمس اللاهبة.

- يجب ان تتمرني اكثر على السباحة. هل تسبحين في ايرلندا؟

- احياناً. لا اعرف احداً بامكاني ان اسبح برفقته. والدي ليس عنده وقت ووالدتك لا تجيد السباحة.

- كلا. لا تجيد السباحة.

تمدد هو على صدره قرب الفتاة واكمل قائلاً:

- وهذا الشاب الذي كلمتني عنه... ماثيو هادلي؟ الا تسبحين احياناً معه؟

- كلا. ابداً.

وجه آدم القريب من وجهها يوترها بصورة غريبة. وكلمات

لورين تعود الى ذاكرتها. هل يتصرف آدم معها هكذا لأنه يشعر باضطراره لقبولها؟ ليكون ضميره مرتاحاً؟

فجأة جلست ماريا. فهي لا تريد هذا النوع من العلاقة معه. لا تريد شفقته. وكانت تفضل الا يتحدث معها. راحت تنظر الى الشاطىء البعيد. المنظر في غاية الجمال. لكن كلمات لورين افسدت اهتمامها. وفجأة لم تعد تتحمل البقاء قرب آدم.

غطست في الماء وراحت تسبح نحو الشاطىء بسرعة غريبة. ولما وصلت الى الرمال، تمددت لتجفف جسمها. كانت تعصر شعرها عندما لحق بها آدم. وقال:

- كان الأمر فجائياً. ما ان جلست حتى فجأة اختفيت! ولم يعد هناك وجود لماريا! هل ارتكبت معك اي حماقة؟

رفعت ماريا كتفيها متصنعة اللامبالاة وقالت:

- كلا، لكن شعرت برغبة في العودة الى الشاطىء. هذا كل ما في الامر.

- بالكاد اصدق كلامك.

- لا اعرف لماذا!

بعدما انهت تنشيف شعرها، بدأت بارتداء سروالها. فقال لها آدم وهو يمسك بذراعها:

- انتظري! ما زلت مبللة. ستفسدين ثيابك. اجلسي لحظة ونشفي جسمك في الشمس.

نظرت اليه الفتاة نظرة تحد وقالت:

- لا عليك، فانا راشدة وقادرة على الاهتمام بنفسي.

اجابها بتعجب واندهاش:

- ماذا تقولين؟

- لست بحاجة لأن يرافقني احد. باستطاعتي ان اتدبر امري بنفسي. انا معتادة على ذلك.

صرخ وهو يمسك بمعصمها:

- يا الهي! ماذا جرى لك؟ الآن، كنت تبدين فرحة بوجودك معي والآن تتصرفين كما لو انني اعتديت عليك!

عضت الفتاة على شفتيها وصرخت وهي تحاول ان تسحب يده من معصمها من دون جدوى:

- اذن، اذا كنت تعتقد ذلك، فانت مخطىء!

سألها بصوت قاس:

- ماذا هناك اذن؟ هل قالت لك لورين شيئاً ما؟

رفضت ماريا ان تنظر اليه، فأفلت يده عنها، ثم رفع ذقنها وراح يحدق في عينيها مستعلماً. ثم قال:

- بالفعل، لقد كلمتك... كان يجب ان اشك بالأمر!

لم تكن ماريا تريد مزيداً من المشاكل مع لورين فقالت:

- ماذا يمكنها ان تقول؟ انت مخطىء. لست مضطراً لان تتحدث معي، اذا كنت لا ترغب بذلك.

اطلق آدم زفرة انزعاج وقال:

- لا اشعر اني مضطر. هل تندهشين لو قلت لك اني مسرور بالتحدث اليك؟ لكن، اذا كنت ترغبين في العودة الى المنزل...

تناول منشفته وراح ينشف صدره. كان ينظر الى الافق نحو البحر. وكانت ماريا قادرة على مراقبته بارتياح. انه رجل جذاب، بشعره الكثيف ويديه الطويلتين المغربتين وعينيه العميقتين. جسمه نحيل وخال من اي كتلة شحم. وفهمت الانجذاب الذي يحدثه عند لورين. ماريا بذاتها حساسة امام سحره. هل جاءت فعلاً الى لندن لتتخلص من حياتها الخانقة التي كانت تعيشها في كيلكارني؟ ام لأنها كانت ترغب، من دون وعيها، برؤية آدم من جديد؟

فجأة استدار نحوها ونظر في عينيها حتى احمر وجهها وازاحت عنه نظرها. فقالت:

- لا تذهبي. انتظري قليلاً.

- حسناً، سأفعل.

تمددت على الرمل، فتمدد آدم قربها ثم استدار نحوها ينظر اليها بامعان ثم قال:

- هل تلاحظين انك لأول مرة توافقين على امنيتي من دون ان تتذمري؟

رفعت ماريا شعرها وبدأت اشعة الشمس تحرق بشرتها الطرية. كم كانت تتمنى لو بامكانها ان تقضي النهار كله برفقة آدم! لكن عليها العودة بعد قليل وهذه الفكرة اشعرتها بحزن عميق.

انتصب آدم واتكأ على مرفقيه وسألها:

- هل اتخذت قراراً بصدد دراستك؟ اتصلت جانيت بك أليس كذلك؟

التفتت الفتاة نحوه وقالت:

- كنت اريد مناقشة هذا الموضوع معك. واعتقد انك ستطلب مني ان اتسجل في الصف الذي بدأ منذ اسابيع، أليس كذلك؟

اجابها بلهجة ساخرة:

- بامكاني ان اقول لك انك اخترت خطأ، الوقت لبدء الدروس. لكن حسب رأيي، من الافضل ان تنتظري حتى السنة المقبلة، اي بعد عطلة الصيف الكبيرة.

فتحت ماريا عينيها الواسعتين وقالت:

- لكن، لن تبدأ الدروس حينذاك الا بعد ثلاثة اشهر.

- اعرف.

- وماذا افعل خلال اشهر العطلة؟ هل أعود الى ايرلندا؟

تمدد آدم من جديد وقال:

- هذا القرار يعود اليك.

سألت وهي غير مصدقة:

- هل تسمح لي بالبقاء؟

- هل بامكاني منعك؟

- نعم، بامكانك. توقف عن مناكدتي، يا آدم. ارجوك. حسب

رأيك، ماذا علي ان افعل؟

نظر اليها آدم بامعان وانتباه وقال:

- لا اعرف. فكري بالأمر ملياً قبل ان تأخذي القرار النهائي. انت من يمل قضاء الأيام بين اربعة جدران.

زمت ماريا شفتيها وظلت تتأمل البحر. فهذا التغيير في تصرف آدم يحيرها، ولا تعرف اي قرار تتخذه.

قالت بلطف:

- سوف... سأفكر بالأمر.

- فكرة حسنة.

اغمض ادم عينيه وران صمت طويل. كم هو جميل الاسترخاء بكسل تحت اشعة الشمس... فهي تشعر باضطراب قوي عندما يكون آدم لطيفاً معها اكثر مما لو كان غاضباً. هل هذا التغير في التصرف ارادي؟ ربما لاحظ انه لن يصل الى اي مكان معها اذا استمر التصرف بعدائية.

الأوقات الحلوة تنتهي دائماً للأسف. نهض آدم وألقى نظرة الى ساعة يده،وقال:

- حان الوقت لنعود ونتناول الفطور. لا شك ان أليس قد افاقت. اني جائع: وانت؟

نهضت ماريا بدورها وارتدت ملابسها وقالت:

- لا شك ان أليس تشعر بشيء جديد في مجيئها الى هنا...

- ليس اكثر من... ماذا تعنين بهذا الكلام؟

رفعت ماريا كتفيها. امضت ساعات حلوة برفقة آدم وهي الآن تفسد كل شيء بتصرفها الخاطىء. ازاحت الفتاة نظرها وتوجهت في عجلة نحو السلالم عندما لحق بها آدم وامسك بكتفها وأصر على القول:

- ماريا! ردي علي.

رفضت ماريا الالتفات اليه وقالت:

- انت سريع التأثر، يا آدم. لم اكن اقصد شيئاً.

- بلى، بالعكس. اعرفك كفاية وأعرف انك تريدين تحريضي. هل تعتقدين ان وجود أليس هنا هو بطريق الصدفة؟

ارادت ماريا ان تفلت من قبضته فقالت صارخة:

- انت تؤلمني!

هزها وقال:

- انت تستحقين الألم.

فقدت ماريا توازنها ووقعت على آدم. وللحظة ضئيلة تلامسا. لكن آدم من دون كلمة ابتعد عن الفتاة. راحت ماريا ترتجف وتتسلق السلالم مترنحة، غريزتها الانثوية لا تخدعها. فهي مضطربة لاكتشافها. ان يد آدم وهي تدفعها، كانت تداعبها في الوقت نفسه.

٧ - رحلة غريبة

كانت مدرسة السكريتاريا تدعى بيلامي وتبعد مسافة عشرين دقيقة عن المنزل في الباص. وهذا ما لاحظته ماريا نهار الثلاثاء عندما ذهبت لمقابلة المدير، بعد أن اخذت موعداً منه اثر عودتها من عطلة نهاية الاسبوع. كانت مسرورة لهذا التغيير لأنه سينسيها مؤقتاً خيبة أمل الرحلة.

صباح الاحد عندما رجعت ماريا الى الفيللا بعد جولة السباحة التي قامت بها برفقة آدم، لم تكن ترغب الآ في العودة الى لندن. فالوضع لم يعد يطاق بسبب شراسة لورين تجاهها. لكن الممثلة توصلت الى اقناع آدم ان يرافقها لزيارة بعض الاصدقاء ولم يعودوا حتى وقت متأخر.

وفي صباح الاثنين ظلت ماريا في سريرها عن قصد حتى استيقظت اليس من نومها. ولما عاد آدم من الشاطىء، بشعره المبلل، حاولت ان تتحاشى نظرته التساؤلية.

وصلوا الى لندن في الساعة الحادية عشر قبل الظهر. أوصل آدم ماريا الى المنزل قبل أن يوصل لورين الى منزلها. ثم توجه الى المستشفى لزيارة مرضاه. ولم تره ماريا طيلة النهار وشعرت بضرورة اخبار السيدة لاسي كم كانت زيارتها الى فينشام موفقة.

المقابلة مع مدير المدرسة تمت كما يجب. واقترحت الفتاة ان تسجل في الدروس التي بدأت. وشجعها المدير متأكداً انه في امكانها ان تعوض عن الدروس الفائتة بجهد وعمل اضافي. وتمّ الاتفاق على ان تبدأ ماريا مباشرة الالتحاق بصفها. خرجت ماريا من هذه المقابلة متألقة ومليئة ثقة. لا مجال للوحدة بعد الآن، انما العكس هو الصحيح. عليها ان تثابر في المجيء الى المدرسة يوميا وان تدرس في المساء حتى تتمكن من مجاراة تلاميذ صفها.

ولما عادت الى المنزل، اسرعت ماريا الى المطبخ لتعلم السيدة لاسي بالخبر السعيد.

فقالت المربية:

- هكذا سيتسنى لك معاشرة الشباب الذين من جيلك. فوجودك هنا في المنزل عملية رتيبة ومملة.

كادت ماريا ان تعاكسها، لكنها عدلت عن ذلك في الوقت المناسب. من الافضل ان تكون السيدة لاسي مقتنعة بهذا الرأي وسيكون أمام ماريا حجة واضحة للانسحاب في اغلب الاحيان.

رنّ الهاتف فقالت ماريا:

- سأرد انا على الهاتف.

سحبت السماعة. وكان المتكلم دايفيد هالام الذي قال:

- صباح الخير. هل ما زلت تتذكرينني؟

اجابت ماريا مبتسمة:

ـ طبعاً.
ـ انا اتصل بك كما وعدتك. هل كنت تنتظرين مكالمتي؟
اجابت ماريا بصدق:
ـ بصراحة، لم افكر بالامر.
فقال بلهجة جافة بعد ان تنحنح:
ـ على الاقل، انت صادقة... والآن لنتحدث بجدية. ماذا تفعلين اليوم؟
ـ في الوقت الحاضر اساعد السيدة لامبي في تحضير الغداء.
ـ ما رأيك في المجيء لزيارتي بعد ظهر اليوم لقد دعيت بعض الاصدقاء وارغب بوجودك معنا. سآتي لاصطحابك، من دون شك.
ترددت ماريا ثم اجابت ببطء.
ـ انا موافقة.
اتفقنا على وقت محدد ثم اقفلت ماريا السماعة وذهبت الى المطبخ تعلم السيدة لامبي بالامر. فأجابت المربية:
ـ هل السيد آدم على علم بذلك، يا آنسة؟
ـ ليس بعد. فلقد علمت بالامر منذ لحظة فقط. سأخبره بذلك خلال طعام الغداء. كما يجب ان اكلمه عن دروسي ايضا.
ـ اني آسفة، يا آنسة، فالسيد آدم لن يأتي الى الغداء. اتصل بي قبل عودتك من موعدك مع المدير. السيدة ابسلي وقعت مرة اخرى، ويجري لها عملية جراحية بعد ظهر اليوم.
عضت ماريا على شفتيها وصرخت:
ـ آه، المسكينة! انها المرأة ذاتها التي وقعت عن السلالم، أليس كذلك؟
ـ نعم، يا آنسة.
هزت ماريا رأسها ورددت:
ـ يا لها من عجوز مسكينة.

رفعت المربية كتفيها وتنهدت قائلة:
ـ انها في سن متقدمة. والشيخوخة هي العدو الاسوأ.
وراحت ماريا تفكر بوضعها. كيف بامكانها ان تلبي دعوة دايفيد الى حفلته، بينما هناك اشخاص مرضى على شفير العذاب والموت... لكنها تعرف جيداً ان تفكيرها غير منطقي، فوجود الناس المعذبين مستمرّ. ووعت للحال حسن حظها. لا شك انها كانت حمقاء حين أشفقت على حالها وعلى قدرها في تلك الايام الاخيرة عندما كانت لورين تؤذيها وتجرح شعورها.
الحفلة عند دايفيد كانت ناجحة. ولم يكن لاري هادلي موجوداً وهذا ما كانت ماريا تتمناه. لكن ايفلين جيمس كانت هناك ولم تكن فرحة بلقائها.
كان دايفيد يسكن مع والديه في منزل واسع تحيطه حديقة كبيرة حيث بنيت بركة سباحة وملعب لكرة المضرب. وكان الحضور مؤلفاً من ثلاثين فتى وفتاة منهمكين في السباحة او في لعب كرة المضرب. وسرّت ماريا لأنها ادركت ان عليها ان تجلب بزة السباحة معها.
قدم دايفيد الفتاة الى والديه، ثم اهتمّ بامرها كما يجب، فكان دليلها وفارسها. عرّفها الى جميع المدعوين. وتذكرت بعضهم لأنها التقت بهم في نادي كرة المضرب.
ارتدت ماريا بزة السباحة في غرفة مخصصة لذلك، ثم التحقت بصاحب الحفلة قرب الحوض. وراحا يحتسيان المشروبات المنعشة ويثرثران مطولا. كان الطقس رائعاً، وفجأة راحت ماريا تتساءل لماذا كل هؤلاء الشباب موجودون هنا يسترخون تحت الشمس بدلا من ان يكونوا في العمل. لا شك ان بعضهم قد حازوا على مهن لا بأس بها كان دفيد ممدداً على سرير هوائي قرب ماريا فقال:
ـ اين كنت في عطلة الاسبوع؟ اتصلت بك مرتين.
ابتسمت ماريا وقالت:
ـ صحيح؟ ذهبت الى منطقة كنت مع آدم ولورين.

ابتسم دايفيد بدوره وقال:
ـ آه! لورين الرائعة! كيف تجدينها؟
رفعت ماريا كتفيها وقالت:
ـ بالكاد أعرفها.
أطلق دايفيد ضحكة وقال:
ـ بالهذه الرقة! هل راحت تهددك؟
ـ ماذا تعني؟
ـ تفهميني جيداً يا ماريا. انها تعتبر آدم ملكاً لها، لا شك انك لاحظت ذلك!
تنهدت ماريا وقالت:
ـ هذا ما يقال.
نظر اليها الشاب بعينين مرحتين وابتسم بلامبالاة واكمل يقول:
ـ انت لا تصدقين، اليس كذلك؟ ولا انا، لن يكون آدم ملكاً لاحد. لن تكون هناك امرأة تستطيع السيطرة عليه.
ـ هل أنت اكيد من ذلك، يا دايفيد؟
ـ انا اكيد. وهذا ما يعجب لورين غريفيتس.
ـ يبدو انك تعرف آدم تمام المعرفة.
ـ اعرفه من زمان فأهلي وأهله أصدقاء، منذ ما قبل وفاة والده.
ـ آه، فهمت الآن.
ـ والدة آدم تزوجت من والدك... اليس كذلك؟
وافقت ماريا بهزة من رأسها، فتابع دايفيد يقول:
ـ قولي، لماذا جئت الى انكلترا؟ هل آدم هو الذي دعاك؟
ـ كلا. جئت الى انكلترا كي أتابع دراسة السكريتاريا وسأبدأ ابتداء من نهار غد، في مدرسة بيلامي.
ـ لماذا العجلة؟
ـ بدأت الدراسة منذ أربعة أسابيع. ويجب عليّ أن أعوضّ عن الوقت الضائع. والاّ فعليّ انتظار دورة ايلول (سبتمبر).

قطّب دايفيد حاجبيه وقال:
ـ انتظري دورة ايلول (سبتمبر)! الآن الطقس جميل وبامكاننا أن نلهو معاً خلال الصيف.
ـ الاّ تعمل يا دايفيد؟
تنهّد وهو يتثاءب وقال:
ـ لن أبدأ بالعمل قبل ايلول (سبتمبر). حين أدخل مكتب والدي.
ـ انه محام، اليس كذلك؟
ـ من قال لكِ؟ لاري؟
نظرت ماريا حولها وقالت:
ـ نعم. على فكرة، ليس لاري من بين المدعوين.
هزّ الشاب رأسه وقال:
ـ كلا. فضلت الاّ ادعوه، بسبب الظروف.
سألته ماريا بتعجب:
ـ اي ظروف؟
ـ بسبب وجودك هنا!
ـ لكن لماذا؟ نحن اصدقاء، لا اكثر ولا اقل.
امسك دايفيد يدها وقال بصوت ناعم:
ـ من؟ أنت ولاري... أم أنت وأنا؟
احمر وجهها واجابت:
ـ نحن جميعا اصدقاء.
انتصب الشاب كي يراها افضل ثم قال:
ـ بامكاننا ان نكون اكثر من مجرد صديقين
راح يداعب يدها، فتخلصت من قبضته بحركة ناعمة بل حازمة. دايفيد شاب لطيف، تحترمه ويعجبها أكثر من لاري. لكنها لا تريد خوض أي مغامرة عاطفية معه. رفع دايفيد كتفيه وتمدد على سريره الهوائي من جديد.

دعتها السيدة هالام الى العشاء للتعرّف الى زوجها، لكن ماريا رفضت دعوتها. فقد تغيّبت عن المنزل طيلة النهار وهي مصرّة على رؤية آدم. . . والتحدّث اليه.

لما أوصل دايفيد الفتاة الى منزلها، لم يكن هناك سوى السيدة لاسي، التي شرحت لها بعد تنهد باستسلام واضح:

ـ لا شك أنه في المستشفى. ومن هناك سيتوجه مباشرة الى المستوصف. من الافضل لك أن تأكلي الآن.

ترددت ماريا لحظة ثم قررت اتباع نصائح المربية. من يدري اذا كان آدم سيعود مباشرة بعد زيارته الى المستوصف؟

وبالفعل، لم يعد آدم الآ في الساعة الحادية عشرة. كانت السيدة لاسي قد دخلت غرفتها لتنام وماريا تستعد لتفعل مثلها. كانت غاضبة لأنها انتظرته طويلاً من أجل أن تكلمه فقط. لماذا لم يتصل بها بعد المستوصف قبل أن يتوجه الى منزل لورين غريفيتس؟ عاودتها فكرة: ربما لم يتناول العشاء، لكنها أزاحت هذه الفكرة من رأسها في الحال.

كانت متقوقعة على نفسها في الأريكة عندما سمعته يدخل البهو ويفتح باب الصالون الصغير.

دخل آدم الغرفة وفك أزرار سترته وأخرج من جيبه سيكاراً. ألقى نظرة الى الفتاة، لكنها ظلّت تقرأ كتابها، لا تريد أن تنظر اليه.

قال فجأة وهو يشعل سيكاره:

ـ تصورتك في فراشك، في هذه الساعة المتأخرة.

رفعت الفتاة نظرها وأجابت:

ـ لكني لست في فراشي، كما ترى.

بلع آدم الدخان عميقاً وسألها:

ـ هل هناك بعض القهوة؟ هل تركت لي السيدة لاسي بعضاً منها؟

تظاهرت ماريا باللامبالاة وقالت:

ـ ليس عندي أي فكرة في هذا الخصوص اذهب الى المطبخ لترى بنفسك.

نظر آدم اليها طويلاً قبل أن يخرج من الغرفة. خجلت ماريا من ردة فعلها. كان بامكانها أن تبذل جهداً وتجلب له القهوة! فهو يقدم لها ضيافته! نهضت عن الأريكة وخرجت من الصالون الصغير ولاحظت ضوءاً ساطعاً من وراء باب المطبخ، ففتحته ودخلت. كان آدم يحضر لنفسه فنجان قهوة. فألقى نظرة سريعة نحوها ثم اكمل عمله. فقالت:

ـ الم تترك لك السيدة لاسي شيئاً من القهوة؟

ـ لا، الا ترين ما افعله. ماذا تفعلين هنا؟ تصورت انك منغمسة في القراءة؟

ـ جئت متأخراً!.

قال بصوت منزعج:

ـ نعم.

ترددت الفتاة ثم قالت:

ـ أريد أن أحدثك.

ـ في أي موضوع؟ الا يمكن أن تنتظري الى الغد صباحاً؟

ـ كلا. . . لكن. . . سأبدأ دراستي غداً في مدرسة السكريتاريا.

رفع آدم رأسه وقال:

ـ غداً؟ لم أكن على علم بذلك.

ـ انتظرتك لأعلمك بالامر. كان لي موعد مع المدير صباح اليوم.

ـ هل تسجلت في الصف الذي بدأت الدروس فيه؟

ـ نعم.

ـ هل تجدين هذا القرار صائباً؟ لقد بدأت الدراسة منذ عدة اسابيع والمواد كلها جديدة بالنسبة اليك.

ـ لا يمكنني أن أبقى ثلاثة اشهر من دون ان افعل شيئاً!.

رفع آدم كتفيه وقال:

- القرار لك.
تنهدت ماريا وقالت:
- هل تريدني أن أبدأ دراستي الآن، أم لا؟ تصورت أنك ستكون مسروراً ان تتخلص مني باكرا!
قال بحدة:
- لم ألمح اليك بهذا أبداً. تفعلين ما تشائينه، كالعادة!
نظرت اليه الفتاة بامعان ومن دون صبر وقالت بغضب شديد:
- انتظرتك حتى الآن كي أناقش الوضع معك. ليس الذنب ذنبي اذا كنت تصل في ساعة غير مناسبة، وأنت متعب وبمزاج عكر.
اقترب آدم منها وعيناه تلمعان غضباً ثم قال:
- لقد تجاوزت الحدود، ياماريا! اني لا أقبل أن يكلمني أحد بهذه النبرة!
- اذن، سأصعد الى فراشي. انت في مزاج لا يطاق. اني آسفة، كنت أعتقد أن الآنسة غريفيتس تعتني بك كما يجب.
امسكها آدم بكتفيها وادارها صوبه وهو يهمس بوحشية:
- اذا كان الامر يهمك، فلم أر الآنسة غريفيتس هذا المساء. اني عائد من مستشفى القديس غائيل. لقد ماتت السيدة اينسلي منذ نصف ساعة.
ذعرت ماريا ووضعت يدها على فمها وصرخت:
- آه! آه، يا آدم! اني... اني متأسفة...
ازاح آدم يده عنها وقال بصوت قوي:
- اذهبي الى فراشك. انك على حق، فأنا لست برفيق ممتع هذا المساء.
عضت ماريا على شفتها وقالت:
- اجلس، يا آدم. سأحضر لك القهوة.
اجاب ببرود:
- لا سبب لذلك.

اخرج فنجانا من الخزانة وألقى نظرة الى غلاية القهوة التي بدأت تغلي، فقالت ماريا وهي ترجوه:
- دعني احضر لك القهوة! ارجوك! لا شك أنك جائع. هل أكلت؟
نظر اليها وقال:
- كلا، لست جائعاً. ولست بحاجة الى اي مساعدة. اذهبي ودعيني وحدي.
ترددت ماريا، ثم خرجت من المطبخ دون ان تلفظ كلمة. انها مخطئة وكل حساباتها سطحية خاصة في ما يتعلق بآدم.
لم تر ماريا آدم صباح اليوم التالي، أمام مائدة الفطور، كالعادة. فقد استدعي بحالة طارئة باكراً جداً. ولما عاد الى المنزل كانت قد ذهبت الى المدرسة. وبينما كانت تستقل الباص تذكرت أنها نسيت كلياً أن تخبر آدم أنها ذهبت في الامس لتلبية دعوة دايفيد الى الحفلة التي أعدّها. في كل حال، بعد حديثهما الليلة السابقة، لم يعد آدم يهتم بما تفعله وما تشعر به. هذا ما كانت ماريا تعتقده... كان يومها الاول في المدرسة مزدحماً، كان عليها ان تتبع دروس الاختزال، والطبع على الآلة الكاتبة واللغة الانكليزية والمحاسبة والتجارة. كما اعطاها المسؤول لائحة بالكتب. راحت تشتريها بعد ان تناولت طعام الغذاء في مطعم المدرسة. وعادت الى المنزل في حوالى الرابعة والنصف، حاملة عدداً هائلا من الكتب والدفاتر.
ولما دخلت كان آدم جالساً في الصالون الصغير. رفع حاجبيه لدى رؤية هذا العدد الهائل من الكتب. فسألها بجفاف:
- هل تنوين ان تعملي في المساء، اضافة الى كل ما فعلته في النهار؟
وضعت ماريا حملها على الاريكة وقالت:
- ولم لا؟ لدي فروض عليّ تحضيرها لنهار غد.
نهض آدم وتناول أحد الكتب وقرأ عنوانه. فقال:
- ليس هذا ضرورياً.

سألت ماريا من دون ان تفهم:
- ماذا؟
وضع آدم الكتاب فوق سواه وقال:
- كل هذه الكتب، أفهم أنك تريدين التهرب من جوّ كيلكارني الخانق. لكن لا يجب أن تشعري بضرورة متابعة الدراسة اذا كنت لا ترغبين ذلك. بامكانك البقاء هنا والسكن معي لوقت معين، فلن أعارض وجودك هنا.
صرخت وشعرت بجرح في كرامتها:
- بالنسبة اليك، جئت الى لندن دون نية متابعة الدروس، أليس كذلك؟
رفع آدم كتفيه وقال:
- اني لا أشك بنواياك. لكنني أقول فقط ان هذا ليس ضرورياً.
- ألم تطلب من سكرتيرتك أن تستعلم بخصوص المدرسة؟
- الدروس تبدأ فقط في بدء فصل الخريف وكنت أعتقد أنه بامكانك الانتظار قبل ان ترتبطي.
صرخت ماريا غاضبة:
- وقبل أن ترتبط أنت ايضاً! حتى يكون بامكانك أن ترحلني الى ايرلندا متى شئت!
- بامكان هذه الدروس أن تأخذ سنة بكاملها. آمل أن تكوني على علم بذلك.
- ليس في مدرسة خاصة!
- كأنك نسيت العطل!
زمت ماريا شفتيها لأنها لم تفكر بالعطل.
- حسناً. سأذهب الى ايرلندا خلال العطلة، والآن... لو سمحت... قال وهو يمسك بيدها:
- لا تدرسي الليلة.
هزت ماريا رأسها وقالت:

- لماذا؟
- بدأت بالدراسة لتوك. استرخي قليلاً والاّ أرهقت نفسك ومرضت. في كل حال، الطقس شديد الحرارة.
- ليس عندي شيء أفضل أعمله.
قال آدم وهو يداعب ابهام يد الفتاة:
- بلى. لدي زيارة سأقوم بها وبامكانك أن تأتي معي.
- شكراً... لا، يجب... يجب أن أدرس الليلة. لدي فروض ودروس لنهار الغد.
قال آدم ببرود:
- حسناً، دعينا من هذا الحديث الآن.
نادراً ما رأت ماريا آدم خلال الاسبوع. حتى وجبات الطعام كانت تتقطع بالمكالمات الهاتفية الطارئة. ونادراً ما سأل آدم ماريا عن دروسها. ولذلك فالفتاة لم تكن قادرة على الاسترخاء كلياً بوجوده. حاولت مرتين أن تتحدث في أمر دايفيد هالام، لكن من دون نجاح.
ولم يكن آدم يرى لورين غريفيتس. لأن الممثلة كانت تتصل به مرّات عديدة ولم تجده. لاري هادلي اتصل بماريا مراراً لكنها رفضت دعواته لكثرة انهماكها بالدروس.
ونهار الاحد، دعى دايفيد الفتاة لتلعب كرة المضرب في منزله. وهناك تعرفت الى والده، فيتكور هالام الذي كان كابنه رجلا جذابا وممتعاً.
لما عادت في أواخر بعد الظهر الى المنزل لم يكن آدم موجوداً. فشعرت بارتياح عندما علمت انه في العمل خلال نهاية الاسبوع.
بعد أيام قليلة وصل آدم الى مائدة فطور الصباح ووجهه مغتاظ. جلس أمام الطاولة من دون أن يحيي ماريا. التي راحت تراقبه في حذر وتتساءل: ماذا يجري؟
سكبت له فنجان قهوة وقدمته متحاشية النظر اليه. فقال بقسوة:
- انت تعاشرين دايفيد هالام من دون أن تخبريني؟

احمرّت الفتاة ثم اجابت:

- لم... لم اكن أعتقد ان هذا الامر يهمك.

- ولم لا؟

- خرجت معه مرتين فقط.

- ماذا؟ لقد زرته في منزله مرتين! هذا مختلف! ان آل هالام أصدقاء لي، وتعرفين ذلك جيداً.

- نعم...

- فكري قليلا. ألن ابدو احمق عندما يكلمونني عنكما من دون ان اكون على علم بالامر؟

احنت ماريا رأسها وقالت:

- كنت... أريد أن أكلمك بالأمر... لكن... لم أجد مجالاً لذلك.

- خلال عشرة ايام!

- آه يا آدم! ليس الامر ذا اهمية!

صرخ بها وهو يقف فجأة:

- يا الهي! لا أحب أن يهزأ بي احد. المفروض أن تعوضي عن الوقت الضائع بدلاً من أن تذهبي لزيارة دايفيد هالام وتستمتعي ببركة السباحة وملعب كرة المضرب!

- لا يمكنني أن اقضي حياتي في العمل المتواصل! انت قلت لي ذلك!

- غير أنك رفضت أن ترافقيني لزيارة مريض!

- وماذا بعد؟ هل تغار؟

وما ان لفظت هذه الكلمات حتى ندمت عليها. آدم... يغار... يا لتفاهتها!

نظر اليها آدم باستياء، ثم توجه الى الممر بينما كانت لاسي تدخل حاملة صينية البيض المقلي. رمقته المربية بنظرة متسائلة وقالت:

- هل رنّ جرس الهاتف؟ لم اسمعه.

- كلا، يا سيدة لاسي، لم يرن الهاتف. لست جائعاً أشكرك.

ثم خرج وصفق الباب بحدة. فظلت ماريا جامدة مكانها تحاول السيطرة على الاضطراب والتوتر.

وضعت السيدة لاسي الصينية على الطاولة وسألت ماريا:

- ماذا جرى، يا آنسة؟ لم يسبق أن رأيت آدم يخرج من المنزل على هذا النحو.

أجابت الفتاة متصنعة عدم الفهم:

- كيف؟

- لم يسبق أن رأيته يغادر المنزل من دون أن يتذوق الطعام! ماذا قلت له، يا آنسة؟

- طرأ بيننا سوء تفاهم في وجهات النظر. لست جائعة، أنا أيضاً.

صرخت السيدة لاسي متزعجة وهي تشير الى محتوى الصينية:

- وماذا سأفعل بالطعام؟

اقترحت عليها الفتاة بابتسامة:

- ليس عليك إلاّ ان تأكليه أنت.

منذ بدايته كان النهار سيئاً. استاذها كان في مزاج عكر والطقس عاصفاً وماريا ترتكب أخطاء عديدة على الآلة الكاتبة وكادت أن تجهش بالبكاء عندما وبّخها المعلم على ذلك.

ولما رنّ جرس الرابعة، حملت ماريا كتبها وخرجت من المدرسة مهرولة. أمام المدرسة كانت سيارة روفر تشبه سيارة آدم تقف قرب المدخل. لم تعر ماريا انتباهاً للأمر الى حين انفتح باب السيارة امامها فجأة.

قال آدم بنبرة لا تقبل الاعتراض:

- اصعدي.

اطاعت ماريا وجلست قربه بعصبية وقالت:

- يا... لهذه المفاجأة!

ادار آدم محرك السيارة وقال:

- الطقس ينذر بسقوط المطر.

نظرت ماريا من نافذة السيارة ورأت السماء تتلبد بغيوم سوداء وكان يسمع من بعيد صوت الرعد يقترب. وفي الوقت الذي اقلع فيه آدم قالت ماريا:

- شكراً.

وبدلا من أن يتوجه الى المنزل في كينسنغتون أخذ آدم الاتجاه المعاكس، وقطع جسر نهر التايمس وأخذ الطريق باتجاه ريتشموند. احتارت ماريا وراحت تنظر اليه من دون أن تفهم شيئاً. كانت تتصوّر انه في طريقه الى المستشفى، لكنه تجاوزها الآن.

التفت آدم نحوها وقال بلطف:

- سنأخذ الشاي في حانة صغيرة على ضفاف نهر التايمس. هذا اذا كنت لا تعارضين ذلك.

- كلا، طبعاً.

كان الصمت مخيماً. خفف آدم من سيره ثم اوقف السيارة أمام حانة صغيرة تحيط بها شرفة عالية. خرجت ماريا من السيارة من دون انتظار مساعدة آدم واتجها معاً الى المدخل.

هدأ الرعد لكن الهواء كان ثقيلاً. رأت ماريا رصيف المراكب وبعض الزوارق وأشجار الحور التي هزّت اوراقها في الماء. المنظر كان ساحراً ونسيت ماريا تخوفها.

لم يكن هنالك سوى عدد قليل من الناس. جاء صاحب الحانة وابتسم قائلا:

- صباح الخير. ماذا اقدم لكما اليوم؟

يبدو انه يعرف آدم من زمان. فرد له الطبيب الابتسامة وقال:

- شاي، يا بيرت وبعض الحلوى التي تصنعها ليندا.

- كما تريد.

اشار آدم الى طاولة تقع على الشرفة حيث المنظر رائع على النهر. جلست ماريا بعصبية وراحت تنظر الى النهر. مجموعة من البط

تتناوش بين القصب. هذا المنظر لا يمكن أن يكون قرب لندن. هزت الفتاة رأسها واطلقت تنهيدة. كان آدم يراقبها بانتباه ثم قال مبتسماً:

- ستقلق السيدة لاسي عليك.

القت ماريا نظرة سريعة اليه وقالت:

- الم تقل لها انك جئت لأخذي من المدرسة؟

- كلا.

- لماذا؟

- لست معتاداً أن اعلمها بكل شيء، الا في ما يتعلق بزيارات المرضى

اشعل سيكاراً فقالت ماريا:

- ستقلق اذن. لأني اعود دائماً في الرابعة والنصف.

رفع حاجبيه بلا مبالاة. وتساءلت الفتاة ما اذا كان يجب عليها الاتصال بها هاتفياً، أم لا. ربما آدم لا يريد أن يجعل السيدة لاسي تعرف بالأمر، حتى لا تخبر لورين عريفيتس اذا اتصلت.

- اتصلي بها هاتفياً، اذا كان الامر يقلقك؛ لن تطلب السيدة لاسي النجدة اذا تأخرت نصف ساعة.

كادت ماريا ان تشير الى ان التأخر سيدوم اكثر من نصف ساعة، لكنها عدلت عن الامر عندما رأت بيرت حاملاً صينية الشاي والحلوى الساخنة والمربى والكريما الطازجة. وضعها أمام الفتاة التي بدأت تسكب الشاي.

شربا وأكلا الحلوى. لكنهما لم يكونا جائعين وشعرت ماريا بارتياح عندما اطفأ آدم سيكاره وأشار بالرحيل. حيا بيرت وشكر زوجته ثم توجها الى سيارة الروفر. ساعد الطبيب ماريا في الصعود ثم أدار المحرك. وراحت ماريا تفكر أن علاقتهما تغيّرت بشكل ملموس منذ أن رأته في كيلكارني. في ذلك الوقت كانت ماريا ما تزال صبية وشقية. كان آدم يشد جدائل شعرها لمناكدتها. كم هذا بعيد في المكان والزمان. لكن آدم لم يتغير منذ خمس سنوات. بينما هي

أصبحت اليوم امرأة ولم تعد فتاة صغيرة.

فك آدم ربطة عنقه، ثم ازرار ياقته وقال:

ـ يا لهذا الحرّ الشديد.

ثم ألقى نظرة سريعة على ماريا الجميلة في فستانها المقلم بالأحمر والأبيض، وهي ممتقعة حرارة وانفعالاً. وقال:

ـ لم نجلب معنا بزات السباحة. يا للأسف، اني اعرف مكاناً رائعاً حيث بامكاننا ان نسبح.

ـ آه لكان الامر رائعاً.

التفت نحوها وقال بقسوة.

ـ هل تعنين انك تريدين تحدّي التقاليد؟

تلعثمت وقالت:

ـ لا. لا.

رفع آدم حاجبيه واجاب بلهجة لاذعة:

ـ انك تدهشينني! كنت أعتقد أنك تحبذين عكس ذلك. ذلك لأنك تؤمنين بالمفاهيم الحديثة للحياة!

أشاحت ماريا نظرها وراحت تركز انتباهها على الحشرات التي تصطدم بالزجاج محاولة الفرار. فصرخت تقول:

ـ لا يحق لك أن تكلمني هكذا!! هل جئت بي الى هنا لتهينني؟

أسرع آدم بقيادة السيارة متجهاً نحو لندن. لم يتلفظ بكلمة في كل حال لم تتمكن ماريا من متابعة الحديث على هذا المنوال. فكانت خائرة العزم والقوى. لماذا هذه الكراهية في نظراته؟ لماذا هذه القسوة؟

وصلا اخيراً الى المنزل. أوقف آدم السيارة وانحنى أمام ماريا ليفتح لها الباب. وشعرت الفتاة، للحظة خاطفة، جسم آدم الصلب وتنفست رائحة سيكاره وعطره. شعرت فجأة برغبة ملحة في أن تلمسه، لكنها تعلقت بكتبها لتقاوم غريزتها.

وقالت:

ـ شكراً.

خرجت من سيارة آدم ومن دون كلمة صفقت الباب، واقلع بسيارته من جديد.

٨- الدعوة المفاجئة

مرّ الاسبوع التالي من دون حوادث. كانت ماريا ترى آدم قليلا. وتذهب الى المدرسة كل يوم، وتمضي امسياتها في الدراسة. وصباح السبت أتصل بها لاري هادلي هاتفيا ليدعوها ان تشاركه في لعبة كرة المضرب. قبلت دعوته والتقت هناك بدايفيد. وكان الشابان ينظران كل منهما الى الآخر بغضب، طيلة فترة بعد الظهر.

ونهار الأحد، جلست ماريا في حديقة المنزل تأخذ حمام شمس في فترة الصباح. اختفى آدم بعد الفطور واخبرتها السيدة لاسي أنه ذهب ليلعب الغولف مع أحد زملائه. وخلال فترة بعد الظهر، راحت تطالع. فلم يأت آدم الى الغداء، لكنها كانت جالسة في غرفتها في نهاية النهار عندما سمعت محرك سيارته. دخل المنزل وغير

ملابسه واختفى مرّة اخرى قبل وقت العشاء. لم تحاول أن تسأل اين هو، فبامكانها ان تتكهن بذلك.

وفي منتصف الاسبوع التالي، وصل آدم وقت العشاء ذات المساء، ووضع مغلفاً ابيض امام ماريا وقال بتحد:

- افتحي المغلف. انها دعوة.

ترددت ماريا ثم فتحته. فرأت بداخله بطاقة بيضاء محفورة بالذهب، فيها دعوة الى سهرة موجهة لها من لورين غريفيتس.

دهشت الفتاة وأعادت قراءة محتوى البطاقة وسألت آدم:

- لماذا تدعوني الى الحفلة؟

رفع كتفيه وقال:

- ربما لاعتقادها بأنك تحبين اللهو والاستمتاع.

- لن ألبي دعوتها.

- لماذا؟

- لأني لا أعرف احداً هناك. فاصدقاء لورين غريفيتس ليسوا اصدقائي.

- أنا سأكون هناك.

- نعم... نعم أعرف ذلك. فضلاً عن أني لا أملك ثوباً ارتديه لهذه المناسبة.

- بامكانك أن تشتري فستاناً جديداً.

- لا أريد ان اذهب.

- لكن، لماذا يا الهي؟! اعتقدت انك ستفرحين للخبر.

- هذه الدعوة اذن آتية من جانبك! كان يجب ان اشك بالامر.

صرخ وهو يدفع خصلة شعره المتمردة عالياً:

- انك تجعلينني افقد صبري، يا ماريا!

وضعت ماريا البطاقة داخل الظرف وقالت:

- لا تقلق عليّ. لقد سبق ان قلت لك ذلك من قبل...

- وجهت اليك لورين الدعوة بنفسها وما عليك الّا ان تبذلي جهداً

لتلبية هذه الدعوة! انت حقاً فتاة بحاجة الى نضج.

- لورين غريفيتس لا تحبني.
- بالكاد تعرفينها. كيف بامكانك ان تجزمي بشيء كهذا؟
- لا أريد الذهاب، نقطة على السطر. لماذا تشعر فجأة برغبة لأن تدعوني؟

كي تؤكد لي انك حقاً ملكيتها الخاصة؟

نظر اليها آدم كأنه يريد صفعها ثم قال باحتقار:

- عقلك الصغير يدهشني، يا ماريا. ما زلت تلمحين بأني لا املك ارادة اواجه بها لورين؛ اني احب رفقتها، اذا كان ذلك يهمك معرفته.

صرخت لاهثة:

- لا أريد ان اعرف ذلك.

ركضت مسرعة الى غرفتها وارتمت في سريرها تجهش بالبكاء. آدم انسان قاس احياناً! لم تعد قادرة على التصنع وانكار العاطفة التي يوقظها فيها. أما ان تقبل هذه الدعوة، فهذا فوق أرادتها. وراحت تتخيّل آدم ولورين يتحدثان مع بعضهما ويتقاسمان القبل والمداعبات...

وضعت يداً مرتجفة على فمها وقررت عدم التفكير بالأمر. بالنسبة الى آدم، ليست سوى فتاة صغيرة، ابنة زوج والدته. انه يلتقي كل يوم بعشرات النساء، لكنه اختار لورين لأنها جميلة وجذابة. أما هي فما زالت غير ناضجة.

لكن لا. لم تعد فتاة صغيرة. ستلبي دعوة لورين وستبرهن له ذلك.

بعدما أخذت قرارها، نزلت الى غرفة الطعام. كان آدم يقرأ الجريدة وقد انتهى من تناول عشائه. هذا العراك لم يكن يؤثر فيه وشعرت بجرح في عزة نفسها.

قال لها آدم:

- طعامك في المطبخ حيث وضعته السيدة لاسي.
- لا يهم. فأنا لست جائعة... قل للآنسة غريفيتس اني اقبل دعوتها بكل سرور.
- هل قررت نهائياً؟
- نعم.

قال ببرود:

- حسناً. سنذهب في الساعة التاسعة.

كادت ماريا ان تحتج وتقول أنه بامكانها ان تذهب وحدها، لكنها سكتت خوفاً من أن تبدو صغيرة. وقالت:

- حسناً. اتفقنا.

أخذت ماريا وقتاً طويلاً تهيّء نفسها لحضور حفلة لورين غريفيتس. كانت تريد ان تكون في غاية الجمال وخاصة في ذلك المساء بالذات. آه لو كانت جيرالدين والدة آدم هنا لنصحتها وساعدتها في اختيار ملابسها كالعادة.

في اليوم الفائت بعد ان انتهت ماريا من دروسها في المدرسة، قامت بجولة على كل المحلات الواقعة في نايتس بريدج لتشتري فستاناً. ووجدت اخيراً فستان احلامها: عباءة كحلية طويلة، ذات اكمام طويلة وقبة عالية بسيطة، مطبعة بزخارف من الزهور الخضراء والذهبية. الالوان جميعها متناسقة تظهر لون بشرتها وشعرها الكستنائي. وضعت زينة بسيطة، وكحلاً على عينيها ومسحوقاً لماعاً غير ملون على شفتيها.

هبطت ماريا الى الطابق الأرضي، قبل التاسعة بقليل والتقت بالسيدة لاسي في اسفل السلالم فقالت لها بابتسامة:

- آه! انت رائعة. يا آنسة.
- صحيح؟ الا ابدو متصنعة؟
- ابداً! على الاقل هذه ليست ضيقة عليك كبقية الفساتين.
- هذا النوع من الملابس لا يليق بي. السيدة غريفيتس، ربما...

قالت السيدة لاسي:
- هذه المرأة تريد ان تسيطر على الجميع.
- لا يبدو انك تستلطفينها!

كانت السيدة لاسي على وشك الرد عليها عندما انفتح باب غرفة الصالون وخرج منه ادم. كان انيقاً في بزة السموكينغ واضطربت ماريا داخلياً. فسألها:
- هل انت مستعدة؟
- اعتقد ذلك... هل انا بحاجة الى معطف؟
- ليس ضرورياً. الطقس لطيف هذا المساء. هيا بنا.

حيّا السيدة لاسي وخرجا. ارتعشت ماريا لا إرادياً برغم لطف الجوّ. لكنها كانت تشعر بحساسية شديدة في اعصابها.

فتح ادم باب السيارة وساعدها بالصعود. ثم اشعل سيكاراً قبل ان يقلع.

وماريا التي كانت تنظر الى المدينة تمر امام عينيها كانت تتساءل بقلق اذا كان قبولها الدعوة قراراً نجحت في اتخاذه. لكن فات الاوان والتزمت بذلك ولن تتراجع عنه...

سألها آدم بسخرية:
- قولي يا ماريا: هل تتكلمين عني مع السيدة لاسي.

التفتت ماريا نحوه فجأة. كانت منغمسة بافكارها وترددت حين قالت:
- احياناً.

فوجىء بصراحتها ثم تابع يقول:
- اذن سيكون لديك مادة للحديث بعد هذه السهرة.

لم ترد عليه فهو يريد تحريضها، وهي تتصنع اللامبالاة! كانت تركز على المشهد امامها. الشوارع مزدحمة بالمارة والسياح من جميع الجنسيات. وابتسمت فجأة عندما تذكرت ايامها الاولى في انكلترا واللقاء المشين في حديقة الهايد بارك.

سألها آدم:
- لماذا تبتسمين؟
- افكر بهذه المرأة الغريبة التي راحت تحدثني في الحديقة أول وصولي الى هنا. كأن ذلك يعود الى زمن بعيد، مع أني لست في لندن الّا منذ أربعة أسابيع.

قال بلهجة ساخرة:
- بالفعل. كنت فتاة طائشة ومغفلة. لن تجدي صعوبة في التعرّف الى بعض الموجودين هذا المساء. انت موهوبة في ملاطفة الناس الذين لا يناسبونك.

صرخت غاضبة:
- لماذا تقول هذا؟ لأنني تحدثت الى امرأة تبدو ظاهرياً لطيفة. تتكلم وكأن من عادتي أن أقع في المشاكل.
- ألم يحدث لك ابداً ان وقعت في ورطة؟
- ارفض ان اناقش الأمر معك. لا اعرف ماذا يحصل لك. لو عرفت اننا سنتشاجر لأخذت سيارة تاكسي. ولو تكلمت أنا بنفسي الى لورين غريفيتس، ربما كانت اقترحت عليّ ان ادعو دايفيد أو لاري. على الاقل لا يحاولان مخاصمتي او المشاجرة معي.

لماذا اصرّ عليها ان تقبل الدعوة اذا كان وجودها يزعجه؟

أمام منزل الممثلة عدد لا يستهان به من السيارات. شعرت ماريا بقدميها تخوران أمام فكرة مجابهة كل هؤلاء الغرباء بالنسبة اليها. ستفعل لورين كل ما في وسعها لتبعد آدم وماريا عن بعضهما خلال السهرة. أما بالنسبة اليه فهو يفضل بكل تأكيد رفقة الممثلة الجميلة عليها.

كان المنزل مضاء والموسيقى مسموعة من الشارع. توصّل آدم بعد جهد طويل الى ان يجد لسيارته مكاناً قريباً من المنزل. نظر الطبيب الشاب الى ماريا وقال:
- اين وجدت هذه العباءة؟

- في . . . محل يقع في نايتس بريدج.

- انها جميلة وتليق بك كثيراً.

لم تكن ماريا تنتظر اطراء كهذا. لذلك رمقته بنظرة دهشة وقالت ببطء:

- انا سعيدة لأن شيئاً ما اعجبك.

- انك تعجبينني عندما تعتقدين انك مضطرة للكلام في شيء لا تفهمينه.

تأبط ذراعها بلطف وارتعشت الفتاة لملامسته. ماذا ستكون ردة فعله اذا طلبت منه ان يقضي السهرة بجانبها ولا يراقص غيرها لا شك انها ستسر في رفقته كثيراً. . . .

دخلا المنزل وفي المدخل مرآة كبيرة راحت تنظر من خلالها الى فستانها والى تمشيطة شعرها البسيطة. التفت اليها الجميع لكن احداً لم يوجه اليها الحديث. التقى آدم بصديق له وراح يحدثه ثم أمسك بيد ماريا بلطف وقدمها الى صديق صحفي مشهور وتوجه الثلاثة نحو السلالم.

بينما كانت ماريا تتسلق الادراج راحت ماريا تنظر حولها بفضول وحشرية. لاحظت الجدران المغطاة بالقماش الكريمي، الثريات الفاخرة والسجاد الازرق السميك والدرابزين الحديدية البيضاء والمذهبة. ثم وصلا الى صالون كبير تفترش أرضه سجادة ليلكية اللون، واثاثه مقاعد جلدية بيضاء ناعمة وطرية. عشرة خدام منهمكون بتقديم المشروبات الى المدعوين. والجوّ عابق برائحة دخان السكائر واللحوم.

قال آدم لماريا المضطربة لرؤية كل هذا الجمهور:

- تعالي سلّمي على لورين.

توجها الى حيث كانت لورين مسترخية بكسل على مقعد منخفض ومحاطة بمجموعة من المعجبين. ولما شاهدت آدم قالت باستغراب:

- حبيبي!

نهضت واقفة وتقدمت للقائه ثم قالت:

- كان يجب عليك ان تصل قبل الآن. الساعة جاوزت التاسعة والنصف.

- تصورت دائماً ان اشخاص المسرح مثل عصافير الليل!

- الوقت يمر بسرعة عندما نكون معاً. عليّ ان اكون في استديو التمثيل في السابعة صباح غد. انت تعرف ذلك تماماً.

ثم راحت تداعب يديه باصابعها المطلية الاظافر بالاحمر. اشاحت ماريا بنظرها لئلا ترى يديها المتعلقتين به كأنها تريد امتلاكه.

أمسك آدم بمعصم ماريا وقال بلطف:

- ماريا رائعة هذا المساء، اليس كذلك، يا لورين.

شعرت ماريا بالدم يعلو وجهها وارادت أن تصفعه، فهو امام لورين يصبح عديم الشفقة. كانت الممثلة رائعة الجمال بثوبها الاسود الضيق.

نظرت الى ماريا نظرة تعجرف وقالت:

- للأسف، لم ادع رجالاً من جيلك. لكن، كما تعرفين، اجد ان الرجال الشبان مملون بصورة عامة.

اجابت ماريا بتهذيب متجاهلة هذه الملاحظة الشريرة:

- سألهو كما يجب، انا اكيدة، منزلك جميل حقاً.

- اليس كذلك جدّدنا ديكوره منذ أشهر قليلة.

ثم التفتت لورين بآدم وقالت:

- قلت لك ان ماريا لن تكون. . . في. . . جوّها هنا.

انتفضت ماريا. اذن كانت على حق في تصوّرها. ان آدم هو الذي دعاها او بالاحرى طلب من لورين ان تدعوها بالرغم منها. شعرت بالاهانة والتفتت بعيداً. وشعرت بانفراد أمام كل هؤلاء الناس الذين يثرثرون بفرح فيما بينهم. لم تكن ترغب سوى شيء واحد. ان تهبط السلالم وتفرّ من هذا المنزل. لكن، سيكون ذلك دليلاً واضحاً عن عدم نضوجها، فقررت تحمل الوضع والسيطرة عليه.

- مساء الخير، يا ماريا.
هتفت قائلة:
- لكن... لكن انت السيد هالام! يا للمفاجأة!
- تتساءلين لماذا انا هنا، أليس كذلك.
- فعلاً انا مندهشة.
شرح لها والد دايفيد قائلاً:
- لا أحب هذا النوع من الحفلات، لكن بما اني محامي لورين، فليس لدي الخيار. وأنت ماذا تفعلين هنا؟ اصطحبك معه آدم، أليس كذلك؟
تقلصت ماريا من دون ان تجعله يلاحظ توترها ثم قالت:
- نعم... اصطحبني معه؛ كنا معاً منذ لحظات.
- والآن، استولت عليه لورين، على ما اعتقد. اني اتساءل لماذا لم تتزوجه بعد. هذا ما تنويه وترغبه! وفي انتظارها الطويل، تخاطر كثيراً. والظاهر انها لا تعي ذلك.
قالت ماريا بصوت خانق:
- ألا تعتقد ان زواجهما سيتم قريباً.
رفع السيد هالام كتفيه. وجاء الخادم حاملاً صينية المشروب، فتناول كأساً له وواحدة لماريا، ثم اجاب:
- من يدري؟ اذا رضي ان يترك مستوصفه في ايسلينغتون، تتزوجه غداً صباحاً. لكنني لا اعتقد ان آدم سيتخلى عن اهدافه ومثالياته من اجلها.
- انت تعرفه منذ زمن، أليس كذلك.
عرفت والده تمام المعرفة. وآدم منذ صغره يريد ان يصبح طبيباً. تخصّص في الجراحة في كامبريدج، لكنه اختار الطب العام عندما مات اعزّ اصدقائه بسرطان الدم.
قالت ماريا باهتمام:
- الجراحة لا تشفي كل الامراض لكنها الحلّ الاخير. والطبيب

العام بإمكانه أن يكتشف المرض قبل انتشاره وبالتالي شفاء المريض يكون ممكناً واكيداً. آدم رجل مثالي. يريد مساعدة المحرومين والبؤساء.
جرع من كأسه ثم اضاف مغيّراً الحديث:
- قال لي ابني دايفيد انك تدرسين السكريتاريا. ولديك تأثير رائع عليه، اذ قرر بدء العمل قبل شهر مما كان متوقعاً.
قالت الفتاة ضاحكة:
- صحيح!
- نعم أؤكد لك ذلك! كان شاباً كسولاً مثل بقية رفاقه، لكنكِ غيّرت نمط حياته الى الأفضل.
قالت بعد تردد:
- هل تعرف آل هادلي، والدي لاري؟
- نعم اعرفهم. هل غازلك لاري؟
قالت والاحمرار اعتلى وجهها:
- قابلته... آدم لا يحبه.
- معه حق!
- اني لا افهم.
- سأشرح لك الامر. من مصلحتك ان تعرفي كل شيء. كان يعرف فتاة... لا أريد الدخول بالتفاصيل، لكن لاري طلب من آدم مساعدته. وآدم رفض كلياً. فانجبت الفتاة وساعدها والد لاري في العثور على عائلة تتبناه.
احمرّت ماريا وقالت:
- آه، اني افهم الآن. لم أكن أعرف...
- لا يمكنك معرفة ذلك. آل هادلي أناس مهذبون لكن الفتيات بشكل عام حذرات من لاري.
شعرت ماريا بالخجل لانها دافعت عن لاري امام آدم خلال مناقشة حادة، بينما كان آدم يفكر فقط بمصلحتها وطمأنينتها.

- الم تأت معك السيدة هالام.
- كلا، لديها صداع أو انها تتصنع بذلك فهي لا تحب لورين كالعديد من النساء. يبدو ان لورين متى وجدت، فالنساء الباقيات كأنهن غير موجودات.
- اعرف ذلك.
- الاّ تحسدينها؟
- انها جميلة.
- انها جميلة، نعم. لكن صباك ونضارتك وبساطتك تساوي مئة مرّة جمالها. بعد عشر سنوات سيبدو العمر عليها. ومن ثم حذار...

ضحكا بصوت مرتفع. فجأة شعرت ماريا بحضور قربها.
كان آدم. فقال فيكتور هالام:
- آدم. انني للمرّة الاولى ألهو وأمزح في حفل كهذا، وذلك بفضل ماريا.
- اشكرك لاهتمامك بها، يا سيد هالام. كنت ابحث عنها.
- تناقشنا وشربنا وانشرحنا. كنت اعتقد انك مع لورين. اين هي؟
- لا اعرف. طلب منها ان تغني بعض المقطوعات.

ثم نظر الى ماريا وقال:
- تدبرت امرك وحدك. عظيم، انا مسرور جداً للأمر.

اجابت ماريا ببرود:
- السيد هالام اهتم بي جدياً. لا أريد ان امنعك من المكوث مع... خطيبتك!

رفع فيكتور هالام حاجبيه أمام نبرة الفتاة وقال:
- ماريا، مثلي انا، ترى ان الجوّ... خانق بعض الشيء. عد الى لورين وانا أوصل ماريا الى المنزل، اذا كنت تريد مني هذه الخدمة.
- اشكرك، لكني سأهتم بها بنفسي. لو سمحت، وسآخذها الى

العشاء.

نظرت ماريا الى المحامي نظرة خيبة أمل. بامكان لورين ان تأتي في اي لحظة مطالبة بآدم وستجد نفسها وحيدة.

فقالت بسرعة:
- افضل تناول العشاء مع السيد هالام. لن يطول الامر قبل ان تبحث لورين عنك. لا تشعر بمسؤولية تجاهي، ارجوك.

نظر آدم بعينيه السوداوين الغاضبتين وقال بصوت آمر:
- ماريا...

قاطعه السيد هالام قائلا:
- ماريا على حق. نحن وحيدان وأنا سأكون مسروراً بمرافقتها.

ران صمت ثم قال آدم موجهاً كلامه الى السيد هالام:
- اتفقنا، يا سيدي، انا موافق. لكني سأصطحب ماريا الى المنزل بنفسي.
- مفهوم؟

حياهما آدم قبل ان يبتعد؛ اقتربت منه لورين بعد قليل وتأبطت ذراعيه.

احنت ماريا رأسها محاولة الاصغاء الى السيد هالام، لكنها لم تكن قادرة على التركيز. لا يمكنها ان ترى آدم ولورين معاً من دون ان تشعر بانقباض في صدرها.

٩ - عناق هنا، خطوبة هناك

في آخر السهرة، عندما جاء آدم يبحث عنها ليأخذها الى المنزل، كانت ماريا تشعر بالدوخة، فقد رقصت وشربت حتى شعرت فجأة بالتعب. وخلال العشاء بالكاد لمست الطعام او تذوقته. وبعدها راح المدعوون يحضرون مشهداً قدمه بعض الموسيقيين الاسبان، ترافقهم راقصة ماهرة راحت تطقطق بقدميها على ايقاع سحر جميع المشاهدين ثم طلب من لورين ان تغني مرة اخرى. فاحتجت في باديء الأمر ثم بعد الحاح شديد قبلت. فغنت لحناً غجرياً على انغام القيثارة. كان صوتها جميلاً والحضور صفق لها بحماس وحرارة. ثم وضعوا الاسطوانات وراحت ماريا ترقص بعض الرقصات مع فيكتور هالام.

ولما وجدها آدم، كانت تجلس على كرسي برفقة فكتور هالام وبعض زملائه. يتحدثون عن مهنة المحاماة وماريا تصغي اليهم بأذنين شاردتين.

اسرع السيد هالام يقول:

- هل تأخذ مني رفيقتي؟ ما زال الوقت باكراً.

اجاب آدم بجفاف:

- لا، بالعكس.

ثم وجه حديثه الى ماريا قائلاً:

- انت مستعدة؟

قالت بصوت مجروح وهي تنهض:

- نعم. اين الآنسة غريفيتس؟ احب ان اشكرها على هذه السهرة الرائعة.

اجابها آدم فجأة:

- ليس من الضروري، يا ماريا. تصبحون على خير، يا اهل المحاماة.

ثم اجتاز الغرفة بوجه قاتم ساحباً ماريا وراءه. لماذا يتصرف بهذه الوحشية؟ ربما لا يريد ان يتصرف باكراً. هل كان يفضل ان يوصل السيد هالام ماريا الى المنزل، كي يتمكن من البقاء فترة اطول مع خطيبته؟

فتح لهما خادم الاستقبال الباب وتمنى لهما ليلة سعيدة. وبالكاد رد آدم على تحيته.

في الخارج كان الهواء المنعش فوق احتمال الفتاة. فتأرجحت وتمسكت بدرابزين السلالم لئلا تقع. فهتف آدم:

- يا الهي، ماذا هناك يا ماريا؟

اصيبت ماريا بالغثيان وراح العرق يتصبب من جبينها وهمست بصوت مرتجف:

- دعني، يا آدم. لا اشعر بارتياح.

امسكها آدم بذراعها وساعدها على هبوط السلم واجتياز الساحة. ثم فتح باب سيارته واجلسها بكل لطف كأنها احدى مريضاته. وصعد بدوره في سيارة الروفر واقلع.

قالت ماريا بعصبية:

- هل انت غاضب مني؟.

اجابها وهو يضغط بقوة على المقود:

- الا تفهمين، يا ماريا، مساوىء الشراب الحاد؟

تنهدت وقالت وهي تحمر:

- طبعاً. لكني لست دائخة! انما تريد اهانتي مهما كلف الأمر.

واجتازا بقية الطريق بصمت ثقيل. اخيراً وصلا الى المنزل. وكانت الاضواء مطفأة في الداخل فلا شك ان السيدة لاسي قد دخلت غرفتها لأنها لم تكن تعرف متى يعودان. بدأت ماريا تصعد الادراج عندما ناداها آدم قائلاً:

- من الافضل لك ان تحتسي بعض القهوة، اذا كنت لا تريدين ان تستيقظي في الصباح بألم حاد في الرأس.

اكدت له ماريا قائلة:

- شكراً. اشعر بتحسن ولا ضرورة للقهوة.

قال آدم ببرود:

- كما تشائين.

ترددت ماريا. القهوة نافعة لكنها لا تريد مجابهة سخرية آدم في آخر السهرة. ولما وصلت الى عتبة باب غرفتها، سمعت باب المطبخ ينغلق بشدة، فشعرت بارهاق في قدميها. كم تتمنى ان تهبط من جديد الى المطبخ، فقط كي تكون مع آدم! انها تفقد كل عزة نفسها معه! لكن ارادتها تمنعها من التصرف بحمق. هل كل النساء تشبهها، مهددات بالأهانة والاحتقار من قبل الحبيب؟ الحبيب...

وضعت ماريا يدها على قلبها.

دخلت الى غرفتها واشعلت النور. خلعت عباءتها ورمتها على

طرف السرير. ثم جلست امام منضدة الزينة وراحت تسرح شعرها ببطء. هذه الحركة العادية هدأت اعصابها بعض الشيء. وبعد دقائق قليلة شعرت بتحسن. وضعت فرشاة الشعر على الطاولة ووقع نظرها على انبوب العطر. ويا للمفاجأة! كانت تغط عليها فراشة برية سرعان ما طارت باتجاهها. حاولت ماريا ان تتحاشى الفراشة لكنها اوقعت الكرسي على الارض محدثة ضجة كبيرة، سمعت في كل ارجاء المنزل.

اسرعت الفتاة الى النافذة وفتحتها وتمكنت من طرد الفراشة خارجاً.

فجأة انفتح الباب وأطل منه آدم مذعوراً وقال وهو يرى الكرسي واقعاً على الارض:

- ماريا! ماريا، هل اصبت بأذى؟

تلعثمت الفتاة مرتجفة:

- كلا... كلا... كل شيء على ما يرام.

قال وهو يشير الى الكرسي بأصبعه:

- هل تعثرت بالكرسي؟

ادركت ماريا انها نصف عارية فرفعت يدها الى حنجرتها وقالت:

- لا، لا. رأيت فراشة اخافتني، هذا... كل ما في الأمر.

لكن امام عبوس آدم، قالت بغضب:

- الا تصدقني! ماذا تعتقد اذن؟ اني سقطت من شدة الخدر؟

اقترب آدم منها وعيناه تلمعان غضباً. امسك بكتفيها وقال:

- اسكتي! ستوقظين السيدة لاسي.

قالت بسخرية:

- عيب ان يحدث هذا الأمر، اليس كذلك؟

- خفت ان تكوني قد آذيت نفسك؟ هل هذا يدهشك؟

- لنفترض اني جرحت، ماذا كنت ستفعل؟ هل كنت عالجتني بلطف؟ كما هي عادتك مع المرضى؟

راح يداعب كتفيها بدفء وقال:
- ماريا... احذري! انت تلعبين بالنار!
شعرت ماريا بالهزال، اذ كان آدم ينظر اليها كما لم يسبق ان فعل من قبل. فهمست بلطف:
- لماذا؟
- الا تعرفين؟
استمر في مداعبة كتفي ماريا الناعمتين، ثم جذبها نحوه وراح يعانقها. فأحاطت الفتاة بذراعيها عنق آدم وراحت تداعب شعره وتستسلم لعناقه.
تمتم قائلاً:
- ماريا! لقد جننا!
لكنها ظلت تضمه بشدة نحوها وتعانقه وهو لم يكن قادراً على مقاومتها. وراح يقول:
- اني اريدك. لا تدعيني! انت... الطاهرة. البريئة!...
فجأة شعرا ان احداً يراقبهما. امرأة مذعورة تقف على عتبة الباب. ابعد آدم الفتاة وصرخ من دون ان يصدق ما تراه عيناه:
- امي!
قالت ماريا بصوت خافت:
- جيرالدين!
كانت جيرالدين شيريدان تنظر اليهما بامعان ثم قالت:
- ماريا يا ابنتي، لا شك انك متعبة. اخلدي الى النوم. سأراك غداً صباحاً.
حاول آدم ان يسوي شعره، وربطة عنقه، ثم اقفل ازرار سترته. لكن جيرالدين تابعت تقول وهي تلقي نظرة طويلة الى آدم:
- اما انت يا ابني، فتعال الى غرفتي. يجب ان اكلمك.
- اذا كان عندك شيء ما، قوليه الآن في الحال. لست طفلاً ولم اعتد دخول غرفة ماريا. المشهد الذي شاهدته الآن ليس سوى نتيجة

اوضاع معينة. كان من المفروض عليك ان تعلميني بمجيئك!
قالت السيدة شيريدان بصوت بارد:
- آدم. انا اردد ما قلته. علي ان اكلمك.
قال آدم وهو ينظر نحو ماريا:
- اذن، يا امي. لا ارغب في المناقشة في الوقت الحاضر.
اقترحت السيدة شيريدان ببرود:
- على الأقل لنغادر غرفة ماريا كي يتسنى لها الذهاب الى فراشها.
ثم خرجت من الغرفة رافعة الرأس. تردد آدم وسأل ماريا بلطف:
- هل انت على ما يرام، يا ماريا؟
قالت وهي متلعثمة:
- وانت؟
- كلا. لقد احدثت كارثة. هل يجب علي ان اقدم لك اعتذاري؟
صرخت وهو يغلق الباب وراءه:
- كلا... آه، كلا!
نامت ماريا نوماً مضطرباً، وعند الصباح كانت تتألم من صداع رهيب في رأسها. ولم تقرر النهوض من فراشها الا عندما اصبحت الساعة العاشرة. لا شك ان آدم ذهب الى المستوصف. ارتدت سروال جينز وكنزة. وبخوف نزلت لتواجه غضب زوجة ابيها.
كانت جيرالدين شيريدان تقرأ الصحيفة في الصالون الصغير. وقالت مبتسمة لدى رؤية ماريا:
- أخيراً نهضت من فراشك. اجلسي هنا. سأطلب من السيدة لاسي ان تحضر لنا القهوة. هل انت جائعة؟
- كلا. شكراً. دعيني اذهب انا لاعلام المربية...
- لا تبدين في مزاج طيب هذا الصباح. انا ساهتم بالأمر.
جلست ماريا على الاريكة وجاءت بعد دقائق والدة آدم حاملة صينية وضعتها على الطاولة وسألتها:

ـ حليب وسكر؟
ـ سكر فقط، من فضلك.
قدمت لها والدة آدم القهوة فجرعتها آخذة قرصي اسبرين معها.
ثم اعلنت السيدة شيريدان بعد ان سكبت فنجان قهوة لنفسها:
ـ بامكاننا ان نثرثر، الآن. والدك قلق عليك كثيراً، لأنك لا تكتبين اليه، لهذا قررت المجيء الى لندن وتمضية بعض الوقت.
ـ فهمت... انا آسفة لأني لم اكتب باستمرار... لكنني كما تعرفين اكره كتابة الرسائل.
ـ اتضح لنا الأمر. ماذا فعلت؟ هل تسجلت في مدرسة السكريتاريا؟
ـ نعم. بدأت الدروس منذ اسبوعين وتعجبني الدراسة كثيراً. كما احب انكلترا ايضاً.
ـ عظيم، كنت اكيدة من ذلك. لا شك انك امضيت عطلة حلوة هنا، حتى الآن. للأسف انك بدأت اخذ هذه الدروس، غير ان... لكن... لا يهم، سنجد مدرسة مشابهة قرب المنزل.
قالت ماريا مقطبة الحاجبين:
ـ لا افهم، يا جيرالدين. ماذا تعنين؟
وضعت جيرالدين شيريدان فنجانها على الطاولة بتأن وقالت:
ـ آه يا ماريا! تعرفين ما اعني!
ـ كلا. ابداً!
ـ يجب ان تعودي معي الى المنزل.
ـ الى كيلكارني؟
ـ نعم، الى كيلكارني!
صرخت الفتاة مذعورة كلياً:
ـ لكني لا اريد العودة الى كيلكارني! هل قال... آدم ان علي الذهاب من هنا؟
ـ بالكاد تحدثنا، آدم وانا. انه يرفض ان يتكلم حول ما حصل

مساء امس. وبالكاد حياني صباح اليوم! في كل حال، لن تبقي هنا، لم يعد الأمر وارداً على الاطلاق!
اجابت ماريا بصوت خانق:
ـ لماذا؟
ـ لكن، ماريا! هل تفعلين هذا عن قصد او ماذا؟ هل ستبقين هنا، بعد كل ما حدث هذه الليلة؟
اكدت لها ماريا وهي تخفي خديها بيديها:
ـ لم يحصل... اي شيء مساء امس!
ـ لأني وصلت في الوقت المناسب!
ـ كلا... خطأ. آدم... آدم ليس كما تعتقدين.
ـ كل الرجال هم «هكذا». اعرف ابني... انه يكره نفسه لأنه استسلم بهذا الشكل. لكن انت في سن، لا شك ترغبين القيام ببعض التجارب و... يمكن ان تحصل كارثة!
كانت ماريا تذرع ارض الغرفة ذهاباً اياباً، فوقفت فجأة والتفتت صوب زوجة ابيها وقالت:
ـ هل تريدين بذلك التلميح الى ان الغلطة غلطتي؟
ـ حسناً، يا ابنتي العزيزة، لكنك لم تحبطي من عزيمة آدم! ماريا! آدم رجل جذاب، انا اعترف بذلك. انا والدته ولست المرأة الأولى التي تلاحظ هذا الأمر!
ـ ها. ها. ها. اني امرأة الآن!
ـ انها طريقة في الكلام. انت تعيشين معه في منزل واحد منذ اكثر من شهر ومن الطبيعي ان وجودك قربه...
ـ اذن، لماذا سمحت لي بالمجيء الى هنا؟
ـ لم اكن اتوقع حدوث ذلك! كنت اعتقد ان آدم اكثر... وعياً!
ـ اعذريني، اريد الصعود الى غرفتي.
حاولت جيرالدين ابقاءها، لكن من دون جدوى. لم تعد الفتاة تتحمل المزيد. اسرعت الى غرفتها وارتمت على السرير. كانت تعتبر

جيرالدين صديقة لها، لكنها الآن تأكدت انها تخلت عنها.

وخلال ساعة تقريباً، نهضت من سريرها واغتسلت. لم يطردها آدم بعد. صحيح انه لم يعد سهلاً عليها ان تسكن في هذا المنزل... ربما بامكانها نسيان حادثة الامس... لا يمكنها ان تتصور نفسها عائدة الى ايرلندا والعيش بعيدة عنه.

خلعت ماريا كنزتها وسروالها الجينز وارتدت فستاناً جميلاً زهري اللون وهبطت الى المطبخ حيث شاهدت السيدة لاسي. فسألتها:

- اين والدة آدم؟

- ذهبت لشراء بعض الحاجيات. ما بالك؟ ما جرى؟

- آه، لا شيء. آدم، اي ساعة سيعود؟

- سيأتي الى الغداء، على ما اظن. فهو لم يتصل بي هاتفياً.

- اذن سأخرج قليلاً لآخذ هواء منعشاً. رأسي يؤلمني. الآن الساعة الحادية عشرة. سأعود بعد حوالى ساعة من الآن.

سألت المربية بتفهم واستفسار:

- هل يؤلمك رأسك بعد سهرة امس؟

ابتسمت الفتاة وقالت:

- نعم.

كانت السماء ملبدة بالغيوم والطقس ناعماً وراحت ماريا تمشي مسرعة الخطوات. وبعد دقائق لمحت سيارة ليموزين يقودها سائق توقف فجأة قرب الرصيف. كانت لورين غريفيتس جالسة في المقعد الخلفي. ارادت ماريا الاختباء لئلا تراها الممثلة. لكن فات الأوان ولمحتها لورين وصرخت:

- صباح الخير، يا ماريا. يا للصدفة! كنت ذاهبة لرؤيتك.

- رؤيتي، انا؟ لماذا؟

- اصعدي اذن. سنكون هنا في مكان آمن للمناقشة.

ترددت ماريا. فلم تكن ترغب في ذلك. لكنها غير قادرة على التهرب من هذا الموقف الحرج. صعدت الى السيارة وجلست قرب

الممثلة بينما اعطت لورين الأوامر للسائق. ثم قالت لماريا بعدما اغلقت الزجاج الفاصل بينها وبين السائق الذي اقلع السيارة.

- نحن وحدنا الآن.

كانت ماريا متوترة وقلقة. ماذا تريد لورين منها؟ فسألتها بلطف:

- تريدين التحدث الي، يا آنسة؟ منذ حديثنا الاخير في فينشام، اعتقدت ان ليس بيننا من حديث.

اشعلت لورين سيكارة وقالت بلهجة عملية:

- انت مخطئة يا ماريا. اريد فقط ان أوضح لك وضعك.

- لا افهم.

- آدم وانا... مخطوبان... من زمان وهذا ما تعرفينه جيداً. حتى الآن، مهنتي منعتني من الزواج. يجب ايجاد الوقت لحفل الزواج ورحلة شهر العسل و... المشاكل التي يمكن ان تنتج عن هذا كله. غير ان آدم اصبح في الأوقات الأخيرة ملحاً اكثر فأكثر لتحديد موعد الزواج في اقرب وقت ممكن. ومساء امس، قبلت طلبه وحددنا موعد الزواج.

اصفرت ماريا وصدمت. ناقش آدم مع لورين موعد الزفاف قبل ان يعود الى المنزل و... لم تكن قادرة ان تسمع المزيد.

فسألتها الممثلة في لهجة متعجرفة:

- هل هناك شيء ما ازعجك، يا ماريا؟ الم يخبرك آدم بذلك؟

اجابت الفتاة بصوت مخنوق:

- كلا. لم يقل لي شيئاً.

- آه، هؤلاء الرجال! كلهم يشبهون بعضهم! يلحون عليك بالزواج وينسون ان يخبروا اختهم بالأمر!

- انا لست شقيقة آدم!

رفعت الممثلة كتفيها وقالت:

- لا يهم. انت في وضع صعب. لم يقل لك آدم شيئاً... انه انسان طيب. لكن، وجودك... لذلك اردت ان اشرح لك الوضع

حتى تفهمي وتتخذي اجراءات اخرى.

شعرت ماريا بأن قواها تغادرها، فسألت اول شي خطر ببالها:

- الى متى... موعد... الزواج؟

- في اقرب وقت ممكن، يا عزيزتي. فآدم مصر على الأمر كلياً.

- وصلت والدة آدم مساء امس. وسأعود معها الى ايرلندا.

قالت الممثلة منتصرة:

- يبدو انك فهمت ما اقصده، انا متأكدة من ذلك. وهذا افضل اليك. انا مقتنعة كلياً بذلك.

القت الفتاة نظرة نحو النافذة وقالت:

- هل بامكانك انزالي هنا؟ لدي حاجيات يجب شراؤها من هذا الحي.

رفعت لورين حاجبيها ولاحظت ماريا في وجهها تعبيراً غريباً. ثم فتحت الزجاج الفاصل بينها وبين السائق وأمرته بالتوقف.

نزلت ماريا بسرعة من دون ان تترك للورين مجالاً للكلام. ثم نظرت حولها، لا تعرف اين تذهب. لكنها اخيراً اختارت مقهى صغيراً ودخلته.

وبعدما اختارت لنفسها مكاناً راحت تضع ترتيباً في افكارها. لكن فكرة واحدة كانت تلح باستمرار في عقلها. مساء امس، ضمها آدم اليه وداعبها، وعانقها وهو يعرف انه بعد ايام قليلة سيتزوج من امرأة اخرى.

امتلأت عيناها بالدموع وفتحت حقيبة يدها لانتشال منديل فوجدت عنوان شركة الطيران الايرلندية التي جاءت بواسطتها الى انكلترا.

راحت تفكر بحنين الى كيلكارني، والى والدها.

وفجأة نهضت ماريا من مقعدها وخرجت من المقهى متخذة قراراً اكيداً. لماذا لا تستعلم عن مواعيد الرحلات الجوية؟ فقط للاستعلام، لا غير...

١٠- ايرلندا ليست بعيدة

اوقف آدم سيارته الروفر أمام المنزل. دخل والقى نظرة سريعة الى الدفتر قرب الهاتف ليتأكد من جدول مواعيده، ثم توجه الى الصالون الصغير حيث كانت والدته جالسة قرب النافذة تغزل الصوف.

قالت بابتسام:

- صباح الخير، يا آدم. كيف كانت الامور معك هذا الصباح؟

اجابها ببرود وهو يرفع كتفيه:

- لا بأس. وانت؟

- ذهبت لشراء بعض الحاجيات. باتريك بحاجة الى قمصان.

سألها آدم ببساطة كلية:

- أين ماريا؟

- لا أعرف. لقد خرجت.

- لم تسأليها الى اين ذاهبة؟

- لم أكن هنا.

- هل رأيتها في الصباح؟

احمرت السيدة شيريدان وقالت:

- طبعاً. لقد... لقد تناولنا القهوة معاً.

اخذ آدم سيكاراً اشعله وقال:

- سأستعلم عن ماريا عند السيدة لاسي. ربما تعرف أين هي.

- هل هذا أمر مهم، يا آدم؟ ستعود قبل موعد الغداء. اجلس لنتحدّث.

- عماذا ستتحدّثين؟

قالت غاضبة:

- انت تعرف جيداً.

- عن ماريا وحادثة أمس؟

- نعم، عن ماريا! ستعود معي الى ايرلندا.

اجابها بقسوة:

- كلا! كلا يا امي. لن تصطحبي ماريا معك الى ايرلندا.

- آدم! هل جننت؟ لا يمكن لماريا ان تسكن هنا بعد... بعد حادثة مساء امس!

- لكن بلى، يا امي. اذا كانت تريد البقاء فبامكانها ان تبقى. هل فهمت؟

- آدم...

لكن آدم كان قد صار في المطبخ. كانت السيدة لاسي تضع الروستو في الفرن، فابتسمت لدى رؤيتها الطبيب.

فسألها فجأة:

- أين ماريا؟

- ذهبت للتنزه. كان رأسها يؤلمها.

- هل ستعود الى الغداء.

- طبعاً. والّا كانت اخبرتني.

- اوه... سيدة لاسي... هل سمعت ضجة مساء امس؟

- لا اعتقد، يا سيدي.

- شكراً. سأكون في الصالون الصغير اذا احتجت لشيء.

عاد آدم الى امه التي كانت تذرع الغرفة طولاً وعرضاً في توتر شديد. وجلس على الاريكة فسألته:

- هل تريد ان تشرب شيئاً، يا آدم؟

سكبت جيرالدين شيريدان كأساً لآدم وقدمته له ثم قالت:

- هل ترى... هل ترى لورين غريفيتس؟

- احياناً، نعم. لماذا؟

- هل ستتزوجها؟

- كلا.

- كيف؟ هل غيّرت فكرك؟

- كنت أعتقد ذلك من زمان. لكني أريد مثل بقية الرجال ان اتزوج من امرأة عفيفة وطاهرة، حتى ولو لم اكن انا هكذا! هل اوضحت كل الأمر؟

- لكن، آدم...

- دعينا من الحديث الآن. سآخذ حماماً قبل الغداء.

جرع كأسه دفعة واحدة وخرج من الغرفة.

انتظرا ماريا حتى الساعة الواحدة والنصف قبل ان يقررا الجلوس للغداء. لكنهما لم يتمكنا من تذوق شيء، وخاصة آدم الذي كان قلقاً ومتوتراً.

وجيرالدين شيريدان بدأت هي ايضاً تقلق. ربما ما كان عليها ان تتحدث الى ماريا بهذه اللهجة. لكنها أمس، شعرت بغيرة الأمومة وهي ترى الفتاة في أحضان ابنها. فهي تحب ماريا محبة كبرى، غير

أنها لم تكن قادرة على القبول بخروج آدم عن سلطتها.
سألها آدم فجأة:
- بمَ تفكرين، يا امي؟ لماذا لم تأت ماريا الى الغداء؟
- لا... لا اعرف.
- ماذا قلت لها؟ اريد ان اعرف.
- آدم! بالنسبة الى مساء امس...
- دعينا من هذه القصة الآن. لنتحدث عن الصباح. ماذا جرى بينكما؟
- لا شيء. لقد قلت لها ببساطة ان عليها ان تعود الى كيلكارني...
صرخ بصوت غاضب:
- كيف! يا الهي! لماذا قلت لها شيئاً كهذا؟ الامر لا يعنيك.
- آدم! لا يكلم الابن والدته على هذا النحو!
- اكملي! ماذا بعد؟
- هذا كل شيء. فكرت بمصلحتك... بمصلحتكما. لا يمكن لماريا ان تظل هنا!
- لماذا؟
- آدم، ماريا ليست لورين غريفيتس...
- لمن تقولين هذا الكلام!
رفعت السيدة شيريدان يداً الى جبينها وقالت:
- آه، لا أشعر بارتياح.
تمتم آدم وهو يقيس نبضها:
- امي، اذا حدث شيء لماريا بسببك...
صرخت وهي ترتمي على المقعد:
- آه، كفى، كفى! لماذا انت قاس مع والدتك؟
رن الجرس. فترك آدم والدته وراح يفتح الباب. وانتفض لرؤية لورين. ابتسمت له وقالت:

- حبيبي! انتظرت حتى الآن كي تأتي وتعتذر مني...
سألها آدم وهو يمرر يده في شعره:
- ماذا تفعلين هنا، يا لورين؟ لم يعد بيننا شيء.
- لكن بلى، يا حبيبي. اين بامكاننا الجلوس لنتناقش بارتياح؟
تردّد آدم وقاد لورين الى مكتبه. بلطف وحزم، دفعها عنه عندما كادت ان تعانقه. فزمت شفتيها وقالت:
- انت انسان فظ، يا آدم، اتساءل احياناً لماذا احبك.
وقف آدم، قرب النافذة، ينظر الى الحديقة امام المنزل، وقال بجفاف:
- اذا كان عندك شيء للقول، فبسرعة... هيا.
- جئت اقول لك... اني قبلت طلبك.
- قبلت ماذا؟
- اني مستعدة للزواج منك، يا آدم، والسكن هنا. وبامكانك ان تستمر بالعمل في المستوصف، اذا كنت ترغب بذلك.
- لورين. انتهى كل شيء... بيننا! قلت لك ذلك مساء امس!
- آدم. لا يبدو انك تفهم. انا مستعدة ان افعل كل ما ترغبه...
- يا الهي. لم اعد احبك.
- آدم، ليس هذا صحيحاً.
- بلى.
- لن تعمل معي هذا الشيء.
- وكيف تمنعينني من ذلك؟
- نحن مخطوبان منذ زمن طويل. بامكاني... أن الاحقك في...
- آه لورين! انت تستحقين الشفقة. لكن هذا يسيء الى صورتك وسمعتك!
- لماذا تتصرّف هكذا معي؟ كنت اعتقد انك كنت تحبني!
- وأنا ايضاً كنت اعتقد كذلك. لقد طلبت يدك عشرات المرات

عندما كنت ما تزالين مغرية بالنسبة اليّ. لكن لم يعد هذا وارداً على الاطلاق. انتظرت مدة طويلة ولم أعد مهتماً بالامر بعد الآن. الالفة تؤدي الى الكراهية احياناً!

- كيف تجرؤ على هذا القول. . .
- لست أول انسان في حياتك، يا لورين.
- الآخرون لم يعنوا لي شيئاً.
- اني آسف، لورين. لكن لا فائدة بعد الآن.
- هناك امرأة اخرى في حياتك، اليس كذلك؟
- نعم، يا لورين، هناك امرأة اخرى.
- من هي؟ ماريا؟ هي بالذات، اليس كذلك؟ هل أدارت لك ظهرها!

قال بجفاف:

- لا أنوي ان أناقش الأمر معك.
- لماذا؟ انها امرأة مثل كل النساء، لا اكثر ولا اقل. انك تميل الى الشابات اليانعات الآن؟

تمتم بقسوة وهو يفتل معصمها:

- حذار، يا لورين.

تمكنت لورين من التخلص من قبضته لكنها خافت وتوجهت الى الباب. ثم قالت:

- انا أشك بانها تريدك بعد الذي اخبرتها به هذا الصباح!
- هل رأيت ماريا هذا الصباح؟ اين؟
- انت مخنوق لتعرف، اليس كذلك؟
- من مصلحتك ان تقولي، يا لورين.
- حسناً، عظيم. كنت في السيارة صباح اليوم عندما التقيت بها. صعدت معي وأوصلتها الى الشارع العام.
- في اي ساعة؟
- حوالى الظهر.

- ماذا قلت لها؟
- ليس مهماً ما قلته.
- لورين!
- قلت لها اننا سنتزوج، أنت وأنا.

صرخ آدم بوحشية وقال:

- يا الهي!

احتجت ثم قالت:

- كنت اعتقد اننا سنتزوج.

قال بلهجة احتقار:

- بعد مساء امس؟
- كنت غاضباً مساء امس. تصورت انك ستغيّر رأيك. . .

قال وهو يفتح الباب بعنف:

- لكن، لا، لم اغير رأيي. اخرجي من هنا، والاّ خنقتك!

بعدما ذهبت لورين، اتكأ آدم بتعب على مصراع الباب وراح يفكر الى اين ذهبت ماريا؟ لماذا لم تعد بعد. تذكر المرأة في الهايد بارك واحتل الخوف قلبه.

عاد الى الصالون الصغير حيث جلست والدته فقالت:

- انها لورين غريفيتس، اليس كذلك؟ ماذا تريد؟

تردد آدم ثم رفع كتفيه وقال:

- رأت ماريا صباح اليوم. وتكلمت معها.
- انت تسبّب مشاكل لنفسك، هذا رأيي. ماريا تأخرت قليلاً، لكنها عائدة. اني اكيدة من ذلك.

في الساعة السابعة مساء فقد آدم الامل، بعدما اتصل بجميع المستشفيات في الجوار من دون جدوى. صعد في سيارته وراح يبحث عن الفتاة.

وبقيت جيرالدين شيريدان وحدها تذرع ارض المنزل ذهاباً واياباً بخطاها المضطربة. اختفاء ماريا يقلقها، لكنها مهمومة اكثر على

ابنها. فآدم لم يعد يعتبر ماريا كقريبة مقربة. وهذا ما يصدمها. ليس بوسعها القبول بأن يكون ابنها الوحيد، الطبيب الشاب الطموح، مغرماً بماريا. فهي لا تناسبه اطلاقاً.

أخرجها رنين الهاتف من هواجسها. وبما ان السيدة لاسي خرجت في عطلتها ككل نهار سبت اسرعت والدة آدم لترد على الهاتف. كانت ماريا على الخط.

صرخت بعد ارتياح:

ـ ماريا! يا الهي، اين انت؟ ماذا تفعلين؟

ـ انا في البيت، يا جيرالدين. في كيلكارني.

ـ انت تمزحين!

ـ اخذت طائرة بعد الظهر. بعد حديثنا هذا الصباح... لقد... من الافضل، على ما أعتقد. آدم... هل هو عندك؟

ـ كيف؟ آه، لا! لا، ليس هنا.

سكتت السيدة شيريدان فجأة. لا تريد ان تخبرها عن ردة فعل آدم لاختفائها. شكراً لله، ماريا في ايرلندا! كل هذه المغامرة اشرفت على نهايتها.

قالت ماريا في خيبة أمل:

ـ آه! هل بامكانك ان تقولي له اين انا، وتطلبي منه ان يلغي تسجيلي في المدرسة؟

ـ طبعاً، يا ماريا.

ـ هل بامكانك ايضاً ان ترسلي لي حوائجي؟

ـ نعم، يا ماريا. ووالدك، ماذا قال عندما رآك بغتة؟

ـ تعرفين والدي. كان فرحاً لرؤيتي، على ما أظن. لكنه الآن في القرية. الى اللقاء، يا جيرالدين.

ـ الى اللقاء، يا ماريا.

اقفلت السيدة شيريدان سماعة الهاتف واطلقت تنهيدة عميقة. من السهل ارسال حقائبها والغاء تسجيلها في المدرسة. لكن ماذا

سيقول آدم؟

عاد آدم بعد نصف ساعة، متعباً وخائر العزيمة.

فأسرعت اليه والدته وصرخت تقول:

ـ آدم! خبر مفرح! ماريا اتصلت منذ قليل.

ـ اين هي؟

ترددت لحظة ثم قالت:

ـ انها في ايرلندا. في البيت، في كيلكارني.

فوجىء آدم وذعر:

ـ ماذا؟ متى ذهبت الى ايرلندا؟

ـ في طائرة بعد الظهر. قررت بغتة.

ـ هل شرحت لك السبب؟

ـ كلا. كل ما قالته هو أن ذلك أفضل. انها على حق، اليس كذلك يا آدم؟... آدم! ماذا هناك؟

صعد الطبيب السلالم بسرعة ثم التفت الى والدته ليقول:

ـ الغلطة غلطتك، وغلطة المخلوقة التي كانت هنا بعد الظهر.

ـ آدم، لم اقل لها ان تذهب.

ـ هذا لا يهم.

لحقته جيرالدين شيريدان حتى غرفته. كان يخلع كنزته ويرتدي بزة فسألته:

ـ ماذا تفعل؟

ـ أنا ذاهب الى ايرلندا، لأعيد ماريا الى هنا.

ـ آدم، هذا مستحيل! لكن، لماذا؟

ـ ليس الآن، يا امي. اتصلي بهادلي. واطلبي منه ان يحل مكاني حتى نهار الاثنين. قولي له ان الامر يتعلق بأمور عائلية، لا اكثر.

ـ هل بامكاني المجيء معك؟

اجابها بجفاف وبريق سخرية في نظرته:

ـ لا اعتقد.

استيقظت ماريا بانتفاضة. طرقات متواصلة وملحة على الباب. أشعلت الضوء ونظرت الى ساعة يدها. انها الساعة الواحدة ليلاً. من يطرق الباب في هذه الساعة. في قلب القرية؟

خرجت من سريرها وارتدت مئزراً قطنياً. راحت الكلاب تنبح، ووالدها ينزل السلالم. فتحت باب غرفتها بحذر وخرجت الى الممر على رؤوس اصابعها.

رأت والدها ويرافقه كلباه، يفتح القفل ثم الباب.

وظهر شبح رجل في الظلام.

صرخ باتريك شيريدان غير مصدق:

- آدم! هل والدتك معك؟

قال آدم وهو يدخل البهو:

- كلا. أنا وحدي.

- هل حدث مكروه لجيرالدين؟

طمأنه آدم فواصل زوج والده يسأل:

- ماذا تفعل هنا في نصف الليل؟ الساعة تجاوزت الواحدة!

- أعرف. لو لم تتعطل سيارة التاكسي من دابلين الى هنا لوصلت باكراً. لأني اضطررت ان امشي بقية الطريق على قدمي. أريد ان ارى ماريا.

قشعريرة رعب اكتسحت الفتاة من رأسها حتى قدميها.

- من الأفضل ان تنتظر الى نهار غد، يا بني. ماريا نائمة منذ مدة طويلة.

صرخت ماريا وهي تهبط السلالم، وهي تعي ان شعرها مشعث ومئزرها قديم:

- لست نائمة يا أبي...

رفع آدم عينيه اليها، فالتقت نظراتهما. وشعرت ماريا أنها تنهار انفعالاً. لكن السيد شيريدان بدا مزعوجاً، فقال:

- ماريا! الى السرير! في الحال! ليس الآن وقت الزيارات او

الاستقبالات!

آدم ستراها في الغد صباحاً.

- كلا، يا باتريك! يجب ان اكلمها في الحال!

- اسمع يا آدم. نحن لسنا في لندن، انما في كيلكارني. الحياة ليست عصرية هنا، وماريا ما تزال فتاة صغيرة...

- عمري ١٨ سنة، يا ابي.

قال والدها بقسوة:

- الى السرير، يا ماريا.

اطاعت ماريا آسفة وعادت تتسلق السلالم. ثم قال السيد شيريدان موجهاً كلامه الى آدم:

- أما بالنسبة اليك، يا بني، فبامكانك ان تنام على هذه الاريكة. سأجلب لك غطاء.

وافق آدم ودخل الى الصالون واشعل الضوء وتفحص الاريكة. لن يكون نوماً مريحاً، لكن على الاقل، هو الآن في كيلكارني، قرب ماريا.

جلست ماريا على سريرها وسمعت والدها يتمنى ليلة سعيدة لآدم. أطفأت ضوء غرفتها بسرعة، فلم تكن ترغب ان يأتي والدها ويصبّ عليها الاسئلة الحرجة. في كل حال هي تجهل سبب قدوم آدم الى كيلكارني.

انتظرت حتى عمّ الصمت من جديد في المنزل ثم فتحت باب غرفتها وهبطت السلالم. الكلاب كانت نائمة في البهو لكنها لم تنبح عندما مرّت ماريا قربها. فتحت باب الصالون ودخلت.

ضوء شحيح يضيء الغرفة وآدم ممدد على الاريكة. ولاحظت ماريا أن صدره العاري قد لونته الشمس بأشعتها.

فتح عينيه عندما سمع الباب ينغلق وشاهد الفتاة. فسألها:

- هل يعرف والدك انك هنا؟

- كلا. انتظرت حتى ينام من جديد.
- ماذا سيقول اذا رآنا معاً؟ ما كان يجب ان تنزلي.
- سيفكر الشيء نفسه الذي فكرت به أمك!
- ربما. ماريا، عليّ ان اكلمك حول حادثة مساء امس، لكن الوقت لا يسمح ولا الظروف.
- لم لا؟ آدم، لماذا جئت الى هنا؟
- جئت لأراك. اردت. . . أردت ان اشرح لك.
- في ما يخص مساء امس؟ لا اريد شرحاً. انه ظرف طارىء. الم تقل هذا انت؟ زيارتك ليست ضرورية. انا افهم جيداً. تريد الزواج من لورين. انا آسفة لاختفائي على هذا النحو.

كان وراءها وهي تشعر بدفئه. قال بصوت مبحوح:
- اخرسي! اخرسي والآ. . . والآ. . .

امسك بكتفيها وجذبها الى جسمه القوي وقال بشغف:
- ماريا، انا بحاجة اليك. . . اريدك. . . لا يمكنني ان اعيش من دونك.

شعرت ماريا بدفء، وحرارة وانفعال، كلها تخترق جسمها. وضعت ذراعها وراء عنقه واقتربت منه وهمست تقول:
- آه، يا آدم، الم تعد تعتبرني فتاة صغيرة شقية؟

عانقها آدم وهمس يقول:
- انا احبك. بالنسبة اليّ لم تعودي فتاة صغيرة، يا ماريا.

احمرّت ماريا بلطف. تناول آدم سيكارة من جيب سترته واشعلها ثم لمس خدها الحار وسألها:
- هل تريدين العودة معي الى انكلترا؟
- لكنك تريد ان تتزوج من لورين.
- لا اريد ان اتزوج من لورين. لا الآن. . . ولا ابداً.

كانت أصابع يديه تمتد الى جلدها الناعم وكان يردد قائلاً:
- ماريا! انت لا تفهمين. اني احبك. اريد ان اتزوجك.

- لكن. . . لكن لورين؟
- لورين كذبت عليك. قلت لها مساء امس ان كل شيء انتهى بيننا.
- آه، آدم! لا يمكنك ان تتزوجني! والدتك لا تريد هذا!

اطفأ آدم سيكارته بعنف وجذب ماريا اليه من جديد وقال:
- انا الذي اختار زوجتي وليس والدتي. آه، ماريا! كم أود ان نصبح الآن متزوجين! اني اريدك كالمجنون!

اقتربت ماريا منه. لكنه دفعها قائلاً:
- كلا! ليس بعد! لا أريد ان يحصل شيء بسرعة وبساطة. نامي، يا ماريا، والا فاني لا أتحمل الصمود.

نظرت اليه ماريا بحنان وقالت:
- اتفقنا. لكني سأفيق باكراً في صباح الغد.

اجابها وهو ينظر الى الاريكة بسخرية:
- أنا ايضاً، من دون اي شك.

بعد مرور شهرين، استيقظت ماريا في منتصف الليل على صوت الهاتف. ولما فتحت عينيها، كان آدم قد اشعل الضوء ورفع السماعة.

تزوجا وأمضيا خمسة أسابيع في رحلة شهر العسل امضياها في اليونان. وعادا الى لندن منذ اسبوع فقط.

قال آدم وهو يلتفت الى ماريا:
- عليّ الذهاب. السيدة سميث على وشك ان تضع جنينها وتريد طبيباً.

جذبت الفتاة زوجها نحوها فقبلها وهمس في اذنها:
- ماريا، يجب ان اذهب. لن يطول الامر، اعدك بذلك.

تنهدت ماريا وقالت:
- اتفقنا. من حظي انني لم افق في منتصف الليل قبل الآن.

نهض آدم من سريره الزوجي بهدوء وارتدى ملابسه. ولدى

عودته، في الرابعة والنصف، كان المطبخ مضاء وماريا تحضر القهوة.

- أردت ان أفرحك.

شربا القهوة ولاحظ آدم قائلا:

- انها المرّة الأولى تحضر القهوة لي خصيصاً وسط الليل.

- لكن، لم يسبق ان تزوجت من قبل، اليس كذلك؟

نظر اليها ادم بفرح وأحس برغبة بعد ان استنشق عطرها.

- هيا بنا الى النوم.

- هل تعتقد أن لديك الوقت؟

حملها آدم بين ذراعيه واجتاز الممر وبدأ يصعد السلالم وهمس بلطف:

- معك، لديّ كل الوقت!

كانت ماريا امرأة سعيدة.